تواريخ المدينة (٢)

مجتمع المدينة المنورة في رحلة العياشي

(١٠٧٢هـ / ١٦٦٢م)

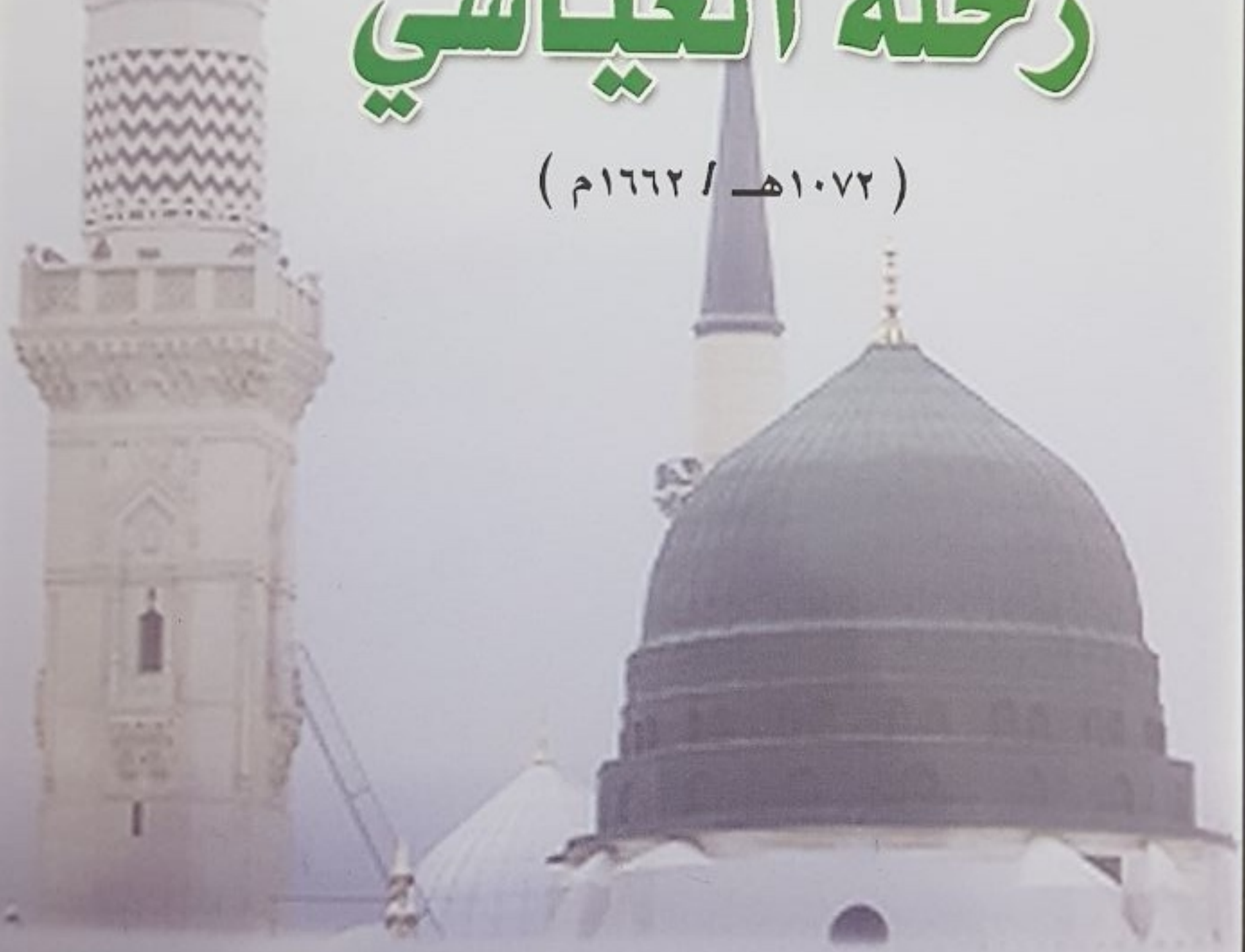

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

د.عائض الردادي

مجتمع المدينة المنورة

في

رحلة العياشي

(١٠٧٢هـ /١٦٦٢م)

د. عائض الردادي

موقع الدكتور عايض الردادي
www.alraddadi.me

www.alraddadi.me

ح عائض بن بنيه بن سالم الردادي ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الردادي ، عائض بن بنيه بن سالم

مجتمع المدينة المنورة في رحلة العياشي. /عائض بن بنيه بن سالم الردادي- الرياض، ١٤٣١هـ

٨٠ ص؛ ١٧×٢٤سم-

ردمك: ٦- ٤٧٤٠-٠٠-٦٠٣- ٩٧٨

١- رحلات الحج ٢- المدينة المنورة - وصف ورحلات ٣- الرحالة العرب أ. العنوان

ديوي٩١٥,٣١٢٢٠٤ ١٤٣١/٢٦٩٦هـ

رقم الإيداع : ٢٦٩٦/ ١٤٣١هـ

ردمك: ٦- ٤٧٤٠-٠٠-٦٠٣- ٩٧٨

الصف الآلي: ريم بنت عائض الردادي

تصميم الغلاف: علي بن عائض الردادي

العنوان : ص.ب ٤٥٢٠٩

الرياض ١١٥١٢

Ibn-Jammal@hotmail.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

www.alraddadi.me

موقع الكتور عبد الرحمن الردادي
www.alraddadi.me

www.alraddadi.me

مقدمة:

الحمد لله الذي اختار المدينة المنورة مهاجراً لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ومثوى لجسده الطاهر، ومهبطاً للوحي، و مأرزاً للإيمان، وبعد:

فتأتي هذه الدراسة المعنونة بـ(مجتمع المدينة المنورة في رحلة العياشي) استجابة لدعوة نادي المدينة المنورة الأدبي للمشاركة في ملتقى العقيق المنعقد من ١٠-١٤٣٠/٥/١٢هـ (٥-٧ مايو ٢٠٠٩م) وموضوعه (المدينة المنورة في أدب الرحلات).

وقد أعطى البحث إلمامة عن ازدهار الرحلات إلى الحجاز في القرن الحادي عشر الهجري، وأنها مادة غنية غزيرة الفائدة في النواحي التاريخية والأدبية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي تصور حال الحجاز أوضح تصوير، وأشار إلى تكوين الرحلات المغربية إلى الديار المقدسة القسط الأكبر في سجل الرحلات، ومنها رحلة العياشي التي تعد من أهمها إن لم تكن أغناها.

وعرج البحث على اضطراب الحياة السياسية في المدينة في القرن الحادي عشر الهجري وما نتج عنه من اضطراب اجتماعي اضطر بعض مثقفي المدينة أن يرحلوا ويكتبوا رحلات صورت مجتمع المدينة المنورة وصارت مرجعاً لدراسة البلدان التي رحلوا إليها، و هذا الاضطراب الاجتماعي صوره العياشي في رحلته أفضل تصوير، وعرف البحث بإيجاز بأهمية رحلة العياشي وعناية الدارسين بها، وأنها

www.alraddadi.me

من أوفى المراجع لدراسي واقع الحجاز في زمانه، مشيراً إلى ما كتب عنها أو صدر من دراسات.

تناول العياشي في رحلته نواحي كثيرة مما يتعلق بالمدينة المنورة، فوصف جبالها، وآبارها، وأوديتها، ومساجدها، وآثارها، واقتصادها، وسياستها،وشرائح سكانها، وعاداتهم في المأكل، والمشرب، والملبس، والمناسبات الدينية والاجتماعية، وثقافتها من تدريس وقراءة ومكتبات ولقاءات مع العلماء، وصوّر حياتها العامة وتأثرها بالتمازج بين أعراق الشعوب الإسلامية التي سكنتها، وكل واحدة من هذه النواحي جدير بدراسة غير أن هذه الدراسة اقتصرت على وصف العياشي لمجتمع المدينة الذي كاد أن يتفرد به حين كتب وصفاً مبنياً على مشاهداته، وملحوظاته، واختلاطه بالمجتمع، والرواية عمن لقيهم أو من سَبَر حال المدينة كما قال العياشي، وهذا الذي فعله العَياشي لا يوجد بعضه ـ على الأقل ـ إلا عنده أما بقية النواحي فقد استفاد العياشي من كُتُب سابقيه وهو موجود في بقية كتب الرحلات ممن سبقه أو من جاء بعده.

تأتي أهمية ما دونه العياشي عن مجتمع المدينة من أنه اعتمد على المشاهدة التي تعد مصدراً مهماً من مصادر التاريخ، وطرق ناحية قلّ أن يتناولها الرحالة إلى الحج وهي التاريخ الاجتماعي لأحوال سكان المدينة، وهذا ما أعطى رحلته قيمة علمية؛ لاتصاله المباشر بالمجتمع

www.alraddadi.me

فهو قد حضر بعض المناسبات وخالط الناس و دَرَّس و زار المزارات وكتب عن أحوال الناس كتابة مشاهد ومخالط لهم.

إذاً فإن هذا البحث اقتصر على وصف العياشي لأحوال مجتمع المدينة المبني على مشاهداته ومروياته الشخصية، مع الإشارة إلى أن بعض ما دونه لا يخلو من انطباعاته وبخاصة ما لم يوافق ما اعتاد عليه من عادات في المغرب وكثيراً ما نوه عن ذلك، وإن كان أحياناً ينتقد العادة حتى في بلاده كانتقاده لتلقّي الرُكْبان في البيع، على أنه من العدل القول: إن انطباعات العياشي لم تأخذ طابع الحدة أو الانتقاص الذي نجده حيناً في بعض الرحلات للحجاز إذا استثنينا حدته في نقد عادات النساء، وأحياناً تكون مقبولة كنقده إطلاق الأسعار في المواسم ثم عودتها لما كانت عليه بعدها، ولكن حسبه أنه دون تاريخاً اجتماعياً لم يلتفت إليه كثير من الرحالة الذين كانوا يركزون على وصف المعالم أو الأحكام الدينية، والذي لاشك فيه أن حبَّ المدينة ملأ قلبه، وقد سجل أخبار المدينة دينيها ودنيويها لحبه لها ولساكنها كما قال عندما تناول وصف الجانب السياسي.

وهذه الدراسة جاءت في ثلاثة محاور:

- وصف المجتمع الثقافي.
- وصف مراكز النفوذ.
- وصف عادات السكان الاجتماعية.

www.alraddadi.me

وقد اعتمدت الدراسة على نصوص العياشي في رحلته، وأحالت إليها في ثلاث طبعات أولها الطبعة الثانية المصورة الصادرة في الرباط عام١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، وهي بخط مغربي تصعب قراءته على أهل المشرق، وثانيها ما نشره منها الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب، وثالثها ما نشره محمد أمحزون في كتابه (المدينة المنورة في رحلة العياشي) حيث نشر ما يتعلق بالمدينة اعتماداً على نسخة بخط المؤلف، وقد أشير إلى النص في المواضع الثلاثة في أكثر المواضع، تسهيلاً للرجوع إليه من القارئ، على أنني قد قرأت في كتاب (الرحلة في الأدب المغربي) لعبد الرحمن مؤذن أن الرحلة العياشية (ماء الموائد) قد حققت أخيراً من قبل د. سعيد الفاضلي و د. سليمان القرشي وطبعت في أبو ظبي عام ٢٠٠٦م، ولكني لم أطلع عليها، ولم أعلم عن ذلك إلا عند قراءتي لهذا الكتاب الذي عرض في معرض الرياض الدولي للكتاب في ربيع الأول ١٤٣٠هـ، وهذه الطبعة ستسهل على القارئ الاطلاع على هذه الرحلة كاملة.

وقد تمت الاستعانة بمصادر تاريخية أخرى معاصرة للعياشي تناولت ما يتعلق بالموضوع،وكذلك بمراجع متأخرة للإيضاح أو التعريف ببعض الأمور، وانتهى البحث بخلاصة تضمنت نتائج لأهم ما ورد فيها.

وآمل أن تكون هذه الدراسة إسهاماً في كتابة التاريخ الاجتماعي للمدينة المنورة حرسها الله،بعيداً عن العاطفة المحبة، أو

www.alraddadi.me

التحامل الذي يلاحظ في بعض المؤلفات الأخيرة أو في كتب الرحالة (مسلمين وغير مسلمين) الذين قد يبنون حكماً على رواية واحدة دون استيثاق، أو أولئك الذين عُنوا بتاريخ المدينة تحقيقاً أو دراسة شابهما كثير من القصور أو الخطأ بسبب عدم الإلمام الجيد بالمادة العلمية أو عدم التدقيق أو عدم معرفة المصدر الموثوق من غيره أو غير ذلك، وجله مما كتبه إخوتنا من الخارج سواء أكتبوه من الداخل أم من بلدانهم ومن أهم ما يؤخذ عليه عدم الاطلاع على كتب التاريخ والجغرافيا المتأخرة التي حققت بعض المسائل، ويرد في ذلك أخطاء فادحة.

والله أسأل أن يجعل قلبي وقلب كل من يقرأ هذه السطور عامراً بحب محمد صلى الله عليه وسلم وحب مهاجره و مثواه.

والله الموفق

عائض الردّادي

الرياض ١٥/٣/١٤٣٠هـ.

www.alraddadi.me

ازدهار الرحلات في القرن الحادي عشر الهجري:

ازدهرت الرحلات إلى الحجاز في القرن الحادي عشر الهجري، وكَثُر من كتب عن رحلته إليه، وقد جاءت تلك الرحلات وفيرة غزيرة الفائدة في النواحي التاريخية والأدبية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وهي مادة غنية للدراسات في هذه المجالات[1]، وكتب الرحلات أبرز مظهر للثقافة في هذا القرن و هي تصور أحواله أوضح تصوير، وقد ازدهر أدب الرحلات من هذا القرن إلى نهاية القرن الثالث عشر[2]، وقد انقسم الرحالة إلى الحجاز إلى قسمين أحدهما رحل إلى الحجاز والآخر رحل منه إلى الأمصار الإسلامية، وكل منهم دون انطباعاته، ومشاهداته، ولقاءاته، وأسباب رحلته، وقد يُفرد لرحلته كتاباً معيناً أو يكتفي بالإشارة إلى ما سبق في أحد مؤلفاته[3]، ومن أشهر من رحل من المدينة وكتب عن رحلته منها وما شاهده خارجها ثلاثة رحالة هم محمد كبريت في رحلته "رحلة الشتاء والصيف"، وإبراهيم الخياري في رحلته " تحفة الأدباء"، وابن معصوم في رحلته "سلوة الغريب" وكلها مطبوعة كما سيأتي.

---

[1] انظر كتابي الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ٣٤/١، ١١٥

[2] انظر الكتاب نفسه ١٣٤/١

[3] انظر الكتاب نفسه ١٣٤/١

www.alraddadi.me

الرحلات المغربية إلى الحجاز:

ويعد المغرب العربي من أكثر الأقطار التي أقبل رحالتها على الاتجاه إلى الحجاز وتدوين رحلاتهم" وتكوِّن الرحلات المغربية إلى الديار المقدسة القسط الأكبر في سجل الرحلات المغربية، وتضم ثروة من المعلومات عن تلك البقاع خلال أعصر مختلفة الأحداث وطويلة الأمد"[1].

وقد عني الدارسون بنشر الرحلات المغربية إلى الحجاز وتحقيقها، ونشر الشيخ حمد الجاسر ملخصاً لبعضها في مجلة العرب تحت عنوان " في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج" ومنها رحلة العياشي[2]، كما نشر بحثاً بعنوان "بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية" للدكتور عبد الكريم كريِّم، وفيه درس أحوال الحجاز الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية وغيرها من خلال كتب الرحلات المغربية من عام١٠٤٠- ١٢٠٠ هـ[3].

---

[1] محمد الفاسي: مقدمة تحقيقه لرحلة محمد بن عثمان المكناسي (الإكسير في فكاك الأسير) نقلاً عن كتيب رحلات مغربية إلى الديار المقدسة الحجازية/٤، إصدار وزارة الثقافة المغربية سنة ١٣٩٩هـ، وهذا الإصدار أورد تعريفاً بـ ٢٥ رحلة مغربية بين عامي ٦٨٤- ١٣٥٥هـ

[2] نشرها في الأجزاء ١ و ٢و ٣و ٤ من السنة الثانية عشرة (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

[3] مجلة العرب ج٣ و٤، السنة ١٢، ص ٨٦- ٢٠٩.

www.alraddadi.me

مجتمع الحجاز في القرن الحادي عشر الهجري:

كانت رحلة العياشي في القرن الحادي عشر الهجري، وكانت المدينة المنورة سياسياً محكومة من العثمانيين بعد الاستيلاء على الحجاز عام ٩٢٢ هـ (١٥١٦م) وكانت الصلاحيات السياسية متداخلة في المدينة والمسئوليات متعددة مما جعل الأمن مضطرباً[1].

وقد تأثرت الحياة الاجتماعية بالاضطراب السياسي، لكن من أهم ما أثر فيها ما عُرف تاريخياً بالمجاورة حيث تدفق على الحجاز أجناس شتى من الشعوب الإسلامية، واتخذته موطناً لها، وبدأ تدفق كثير منهم على المدينتين المقدستين من القرن السابع و ازداد بعد القرن الثامن، وشكلوا ظاهرة يشار إليها بالبنان عند دراسة حالة السكان في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر.

و برزت في المدينة في القرن الحادي عشر الهجري ظاهرة تذمر السكان من كثرة إقامة الوافدين ومضايقتهم في سبل العيش، وكتب مثقفوها عن هذا الصراع الاجتماعي، ومن أبرزهم محمد كبريت في كتابه " الجواهر الثمينة في محاسن المدينة" ومما جاء فيه " ومن محاسن المدينة أنها عون لغربيها حتى على أهلها، وفيه سر

---

[1] كل ذلك مفصل فيما كتبته عن الحياة السياسية في كتابي الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ١/٧٥- ٨٥ .

www.alraddadi.me

الإيثار"[1]، وأسهب كبريت في هذا الموضوع في موضع آخر ومما نصح به من أراد المجاورة بها قوله " قال بعضهم: ينبغي لمن أراد المجاورة بالمدينة المنورة أن يكون لين الأعطاف، هيّن الانعطاف، حافظاً لحرمة مكانها، محافظاً على مراعاة سكانها، يشاركهم في أنديتهم لا في أغذيتهم، ويزاحمهم في أوقاتهم لا في أقواتهم، ويكتسب من أخلاقهم لا من أرزاقهم، ويقتبس من برِّهم لا من بُرّهم، ويرغب في حُبّهم لا في حَبّهم..."[2] وأسهب كذلك في هذا الموضوع في كتابه الآخر " نصر من الله وفتح قريب"[3] وتناقل كلامه ابن معصوم في (سلافة العصر)، والمحبى في (نفحة الريحانة) و(خلاصة الأثر) والذهبي في (نفحات الأسرار المكية)[4].

وفي أدب الرحلات نتج عن هذا الواقع الاجتماعي ثلاث رحلات كتبها مؤلفوها المدنيون بسبب اضطرارهم للسفر من المدينة إلى أقطار أخرى، وهذه الرحلات هي:

---

[1] الجواهر الثمينة، تحقيق عائض الردادي، ط١، ٣١١/١

[2] المصدر نفسه ٢/ ٦١٢ - ٦١٥

[3] الكتاب ما زال مخطوطاً في مكتبة عارف حكمت بالمدينة برقم ١٦٠ (الأدب العربي) وما أشير إليه في الورقات ٣٩ – ٤٤.

[4] تناولت ذلك بالدراسة في كتاب الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ١/ ٨٦ - ٩٢.

www.alraddadi.me

١ـ رحلة الشتاء والصيف لمحمد كبريت، وقد رحل إلى اسطنبول شاكياً ما لحق به من انتزاع أملاكه منه وغربته في المدينة، وهي من أهم الرحلات، وقد طبعت.

٢ـ رحلة " تحفة الأدباء وسلوة الغرباء" لإبراهيم الخياري، وسبب رحلته استيلاء أحد الغرباء على التدريس بالمدرسة التي ورث فيها التدريس عن والده، و هي من أهم المصادر لدراسة أحوال الحجاز والشام وبلاد الترك، وهي مطبوعة.

٣ـ رحلة " سلوة الغريب و أسوة الأديب" لابن معصوم الذي رحل إلى الهند، وسببها كما عبر عنه "ما نصب له من المصايد وما تجرعه من غصص المكايد" وهي مطبوعة[١].

هذه المجاورة و إن وُجدت لها سلبيات اجتماعية بسبب قلة موارد العيش إلا أن لها آثاراً محمودة على الصعيد الثقافي فقد آتت أُكلها في عودة الحياة الثقافية للحجاز بمجاورة العلماء، ولسنا بصدد الكلام عن المجاورة، ولكن هذه إشارة لها علاقة بما سيرد فيما بعد عند العياشي في رحلته من وصفٍ للحياة الاجتماعية[٢].

---

[١] لمعرفة المزيد عن الرحلات يمكن الرجوع لكتاب الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ١/١٣٣- ١٤٨.

[٢] لمعرفة المزيد عن المجاورة يمكن الرجوع للكتاب السابق ١/ ١١٨- ١٣٣. وفي الحياة الثقافية ١/ ١٠٢- ١١٦.

www.alraddadi.me

العياشي:

هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي نسبة إلى آيت عياش[1] قبيلة من البربر تقع في جنوبي شرق المغرب، وهو عربي علوي ينتمي إلى الأدارسة، عاش ما بين سنتي (١٠٣٧هـ و ١٠٩٠هـ) رحالة، شاعر، ناثر، له عدد من المؤلفات[2].

أهمية رحلته:

قام العياشي بثلاث رحلات إلى المشرق: الأولى عام ١٠٥٩هـ (١٦٤٩م) والثانية عام ١٠٦٤ هـ (١٦٥٣م) والثالثة عام ١٠٧٢ هـ (١٦٦١م)[3] " لكن الملاحظ أن كتاب رحلته لم يتضمن إلا أخبار رحلته الثالثة التي سجل فيها ملاحظاته ومشاهدته عن الحواضر والبوادي"[4].

سمى العياشي رحلته إلى الحجاز (ماء الموائد) واشتهرت برحلة العياشي أو الرحلة العياشية، ولقيت عناية من الدارسين، فهي من أهم الرحلات المغربية و أكثرها فائدة " والواقع أنها جديرة بالدراسة

---

[1] آيت: كلمة بربرية بمعنى آل (محمد أمحزون: المدينة في رحلة العياشي/٤٧).

[2] انظر في ترجمته محمد الأخضر: الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية/٩٥ وما بعدها، ومحمد أمحزون: المدينة المنورة في رحلة العياشي ٤٧- ٦٦، و الزركلي: الأعلام ١٢٩/٤وغيرها.

[3] ماء الموائد ٤/١- ٦

[4] محمد أمحزون: المدينة المنورة في رحلة العياشي /٤٩.

www.alraddadi.me

العميقة و لا سيما ما يتعلق منها بالحجاز، فهي ـ ولا شك ـ من أوفى المراجع و أصحها لكل من يريد أن يدرس حالة هذه البلاد في القرن الحادي عشر الهجري[1] و " أصبحت مثالاً يُقتدى به و نموذجاً يُقلّد، فقد اعتمد كثير من الرحالة – ممن جاء بعده – على ما كتبه لتدوين أخبار رحلاتهم"[2] ولم تفت أهميتها بعض المستشرقين وغيرهم من الباحثين المحدثين الذين درسوها أو نقلوا عنها إلى اللغات الأجنبية[3] وصدر عنها دراسات علمية من أهمها دراسة محمد أمحزون بعنوان (المدينة المنورة في رحلة العياشي ـ دراسة وتحقيق) وقد حقق ما يختص منها بالمدينة المنورة، وهي مطبوعة، وأشار في مراجعه إلى دراسة بعنوان(رحلة العياشي) لنجاح صلاح الدين القابسي، وهي رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى جامعة عين شمس سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م[4]، ولها عدد من المخطوطات منها ماهو بخط المؤلف نفسه[5].

وقد طبعت طبعة حجرية في مجلدين عام ١٣١٦هـ (١٨٩٨م)، وطبعت طبعة ثانية مصورة بالأوفست بفهرسة محمد حجي سنة

---

[1] حمد الجاسر: مجلة العرب السنة ١٢ ، ١ و٢ /٦٨.

[2] محمد أمحزون: المدينة المنورة في رحلة العياشي/ ٧٦ و ٨٠ .

[3] المرجع السابق/٨٠.

[4] المرجع السابق / ٢٤٧.

[5] المرجع نفسه/ ٦٩ وما بعدها.

www.alraddadi.me

١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) ونشر منها ما يتعلق بالحجاز حمد الجاسر في مجلة العرب، السنة ١٢(١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ج ١ و٢ من ص ٦٥ ـ ١١٢ و ج ٣و ٤ من ص/٢١٠ـ ٢٨١، وقد سبقت الإشارة في المقدمة إلى أنها طبعت في أبو ظبي عام ٢٠٠٦م في مجلدين، ولم أطلع عليها.

المدينة في رحلة العياشي:

" قضى العياشي في المدينة المنورة فترة امتدت إلى سبعة أشهر ونصف، مكنته من معرفة كل شيء عنها[١] " وقد استفاد في مروياته عن معالم المدينة من كُتُب سابقيه[٢]، ولكن أهم مصدر فيما كتبه عن المدينة هو مروياته وملحوظاته الشخصية عن أحوال المدينة، وهو ما يهمنا في بحثنا هذا، وكثير من الرحالة الذين جاءوا بعده نقلوا عنه، وهو في مدوناته الشخصية يروى أخباراً سمعها ممن لقيهم في المدينة كقوله: "أخبرني فلان عن فلان" وأحياناً يعبر بقوله " ذكر لي بعضهم" أو "أخبرني بهذا من سبر حال البلدين" أي مكة و المدينة[٣]، فأهم مصدر لمعلوماته أنه شاهدها وعاشها ولم يروها عن غيره.

---

[١] محمد أمحزون: المدينة المنورة في رحلة العياشي /٧٦.

[٢] ذكر منها محمد أمحزون في كتابه السابق (١٨) كتاباً، انظر ص/ ٧٣ ـ ٧٥.

[٣] ماء الموائد ٣٠٣/١ وسيأتي في وصف صورة الحياة العامة في المدينة.

www.alraddadi.me

وصف المجتمع الثقافي:

عني العياشي بوصف مجتمع الثقافة في المدينة المنورة، وقد اتصل بعلماء المدينة ومدرسي المسجد النبوي و أورد أسماء من اجتمع بهم[1] من علماء الحرمين و دون إجازاتهم له في كتابه" تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء" وهو كتاب ضم إجازات شيوخه من علماء الحرمين وغيرهم، وذكر بعضهم في كتابه "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر[2] ".

وقد درَّس العياشي بالمسجد النبوي الشريف أثناء إقامته، ووصف معاناته من عادة أهل المدينة تعطيل الدراسة في المسجد النبوي يومي الثلاثاء والجمعة بخلاف المعهود في المغرب من تعطيلها يومي الخميس و الجمعة، فقال[3]: " ومن عادة المدرِّسين في المدينة تعطيل القراءة في المكاتب والمدارس يوم الثلاثاء والجمعة،ويقرؤون فيما سوى ذلك من الأيام، خلاف عادتنا في المغرب من التعطيل يوم

---

[1] أحصى منهم حمد الجاسر (٢٢) مشيراً إلى موضع كل منهم في رحلة العياشي، انظر مجلة العرب، السنة ١٢،ج ٣و ٤و ص ٢٦٥- ٢٧٠.

[2] تحقيق نفيسة الذهبي، منشورات جامعة محمد الخامس الرباط، ١٩٩٦م ص/١٣٥.

[3] ماء الموائد ٢٨٩/١، مجلة العرب، السنة ٣و ٢٤٢/٤ (نص العياشي) والمدينة المنورة في رحلة العياشي/٢٠٤ (نص الرحلة).

www.alraddadi.me

الخميس والجمعة، فكنت أيام إقرائي بالحرم الشريف يكلفونني القراءة يوم الخميس، فيشق علي ذلك لكونه خلاف المعتاد لدينا".

ويفهم مما ذكره العياشي أن عادة التدريس و الإقراء تنقطع أيام المواسم في المدينة إلاّ ما لابد منه، وأنه بعد انتهائها يعودون إليها، فهو قال[1]: " وأيام المواسم عند أهل الحرمين الشريفين فيها يجمعون غالب أمور معاشهم، فلا يتفرغ أحد لتدريس ولا عبادة إلا ما لابد منه، فإذا انقضت أيام المواسم، وذهبت الركبان الواردة من الآفاق، ولم يبق بالحرمين إلا أهلهما رجعوا إلى معتاد حالهما في الأمور الدينية من القراءة والتدريس و أنواع العبادات والدنيوية من الفلاحة، والتسعير في الأسواق، وتصحيح المكاييل و الموازين، وأما المواسم فلا سعر معلوماً، ولا مكيال وافياً، ولا ميزان صحيحاً، كل يفعل ما يشاء ولا يتكلم الولاة في شيء من ذلك إلا أن يقع أمر مهم".

والعياشي أخذ العلم عن شيوخ في المدينة من أهلها أو المجاورين، وقد ذكرهم وذكر الكتب التي سمعها عليهم في المسجد النبوي أو في بيوت العلماء وقد أجازوه بمروياتهم، ومن أولئك إبراهيم

---

[1] ماء الموائد ٢٨٤/١، ومجلة العرب السنة/١٢ ج ٣و ٣٣٩/٤ (نص الرحلة) والمدينة المنورة في رحلة العياشي/ ١٩٧ (نص الرحلة). معلوما، وافياً، صحيحاً: كذا بالنصب في المصادر كلها، والخبر محتوف تقديره موجود.

www.alraddadi.me

ابن عبد الرحمن الخياري، وهو محدث ومؤرخ ورحالة[1] وكان العياشي يستعير منه بعض الكتب التي درَّسها، و أبو مهدي الثعالبي وهو جزائري مجاور فقيه مالكي[2]، وكان العياشي مالكياً ملتزماً بالمذهب، وهذا ما حدا بشيخه الثعالبي أن يقول له إذا مرَّ بحديث فيه حجة للمذهب المالكي: هذا فيه حجة لكم، وإن مرَّ بما يخالف المذهب المالكي قال له: هذا حجة عليكم، ولهذا فإن العياشي كره مراجعة شيخه في حلقته في المسجد النبوي وفضّل إيضاح رأيه مكتوباً في رحلته[3]، وممن أخذ عنه العياشي من مجاوري المدينة بدر الدين الهندي درس عليه أصول الفقه[4].

---

[1] توفي سنة ١٠٨٣هـ ، ورحلته إلى اسطنبول مطبوعة، سبقت الإشارة إليها، ترجم له المحبي في خلاصه الأثر ٢٥/١، وذكرت بقية مصادر ترجمته في كتاب الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر ٩١/١.

[2] توفي سنة ١٠٨٠هـ ترجم له المحبي في خلاصة الأثر ٢٤٠/٣.

[3] انظر مثلاً ما أورده عن شرح شيخه لحديث " إنا معاشر الأنبياء أمرنا بوضع اليمنى على اليسرى في الصلاة" حين قال له الشيخ "هذا حجة عليكم" فرد العياشي: " لا حجة علينا في هذا،فإن ظاهر اللفظ الخصوص لا العموم" وبسط رأيه في الرحلة وقال: "ولكن كرهت مراجعة الشيخ بمثل ذلك في المجالس الحافلة الغاصة بأهلها، فأعرضت" وفي هذا أدب من آداب الطلاب مع أساتذتهم" والنص في ماء الموائد ١/ ٢٦٢، والمدينة المنورة في رحلة العياشي/٢١٠ (نص الرحلة).

[4] من علماء الهند قدم المدينة سنة ١٠٦٨هـ ، انظر ماء الموائد ٣١٦/١ ، وفي ماء الموائد ١/ ٣١٤ ، " ذكر من لقيته بالمدينة من المشايخ والأعلام والأصحاب ممن أخذت عنه و أخذ عني أو صاحبته".

www.alraddadi.me

ووصف العياشي خزينة الكتب داخل المسجد النبوي الشريف، و أنه كان من عادة أهل المدينة " إذا كان يوم السابع عشر من ذي القعدة ـ ويسمونه يوم الكنيس ـ جُمعت بسط الحرم كلها و أُدخلت في المخازن فلا يبقى في المسجد إلا الحصر وأدخلت المصاحف التي في المسجد والسُّبُحات إلى الروضة، ورَدَّ كل من استعار كتاباً إلى صاحبه أو إلى ناظر الخزانة التي أخذه منها..."[1].

على أن هذه العادة ليست خاصة بالحج فهي عادة في كل مواسم الزيارة، وقد ذكر محمد كبريت أن أهل المدينة إنما يرفعون الفرش والكتب خوفاً من همج الحجاج وأن بعض الواردين للمدينة أنكر عليهم ذلك ولكن علماء المدينة أقرّوهم عليه[2] فإذا انتهى الموسم عاد الوضع لما كان عليه، قال العياشي[3] : " من عادة أهل المدينة إذا ذهب الأَرْكَاب أن ينظف الحرم الشريف ويفرش بفرشه المعهود... وتخرج الربائع التي فيها المصاحف العتيقة والأجزاء الحسان من وقف الملوك والكبراء، وصُفَّت في قبلة المسجد، وفتحت خزائن

---

[1] ماء الموائد ٢٨٤/١ ، مجلة العرب، السنة ١٢، ج ٣ و ٢٣٨/٤ (نص الرحلة) والمدينة المنورة في رحلة العياشي/١٩٧ (نص الرحلة).

[2] الجواهر الثمينة في محاسن المدينة (سابق) ٥٧٦/٢

[3] ماء الموائد ٢٨٤/١ ، ومجلة العرب، السنة ١٢، ج ٣و ٢٣٨/٤، (نص الرحلة) والمدينة المنورة في رحلة العياشي/١٩٧ (نص الرحلة). الربائع: في لهجة أهل المغرب الصناديق الصغيرة (محمد أمحزون: المدينة المنورة في رحلة العياشي/١٩٥).

www.alraddadi.me

الكتب العلمية الموقفة بالحرم الشريف، يستعير منها الناس للقراءة، وشرع الأئمة في القراءة والتدريس".

والعياشي لا يصف من الكتب التي رآها إلا الغريب منها أو نادر الوجود مما يدل على أن المكتبات كانت زاخرة بالكتب و أن مكتبات العلماء الخاصة تزخر بنفائس الكتب وأن أصحابها يبذلونها للاطلاع عليها ممن يرغب ذلك، فهو قد رأى عند الشيخ شهاب الدين أحمد التاج الذي كانت لديه خزانة كتب كبيرة " كتاب الجَفْر الكبير الذي قل أن يوجد في الدنيا حتى قال بعضهم: إنه من الأشياء التي وضعت لها الأسامي، ولم توجد مسمياتها، وهو سفر نحو الأربعين كراساً في القالب الكبير، ومرتب على حروف المعجم، وهو كله حروف مقطعة في مربعات صغار، كل مربعه فيها أربعة أحرف[1]" وقال عن كتاب آخر قرأه عند شيخ مجاور " وما رأيته قبل ولا بعد إلا عنده[2]" وذكر سوى ذلك[3]، و ذكر العياشي أيضاً بعض خزائن الكتب لعلماء خارج المدينة أوصوا بنقلها إليها بعد موتهم كمكتبة محمد بن إسماعيل الكوراني الذي جاور بمكة والمدينة

---

[1] ماء الموائد ٢/٢ وقد وصف هذا الكتاب وصفاً مفصلاً من ٢- ١٧ ، موضحاً طريقة ترتيبه وجداوله، ومعنى الجَفْر: الجامعة.

ابن التاج: كان رئيس المؤذنين في المسجد النبوي، كاتب، شاعر، عالم فلكي، (ت ١٠٨٠هـ) ترجم له في ماء الموائد ٢/٢، وقد ذكرت مصادر ترجمته في كتابي الشعر الحجازي ١/١٧٣.

[2] ماء الموائد ٨٦/٢ ، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج ٣و ٢٧٤/٤.

[3] انظر المصدرين السابقين الأول ١٣٩/٢- ١٦١ والثاني/٢٧٤.

www.alraddadi.me

وجال في بلدان كثيرة، وخلف كتباً كثيرة تبلغ قريباً من ألف وخمس مئة كتاب والذي بلغ المدينة منها نحو مئة وسبعين كتاباً، وقد رأي العياشي بعضها[1].

وصف مراكز النفوذ في المدينة:

استولى العثمانيون على الحجاز سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م) فأصبح أحد أقاليم الدولة العثمانية، ومن أفضل ما ورد في رحلة العياشي وصفه لأرباب النفوذ في المدينة بسلطاته: السياسية والقضائية والعسكرية وسلطة شيخ الحرم التي وصفها العياشي بأنها سلطة كبيرة على القوي والضعيف.

وسنورد وصف العياشي لكل منها، فهو وصفٌ ممن عاش في المدينة فرأى تداخل صلاحياتها واضطراب حياة الناس جراء تداخلها:

عبر العياشي عن تداخل الصلاحيات، وعدم وجود حاكم واحد يصرّف الأمور، وأنه على طوال إقامته في المدينة لم يعرف كيف يصرف الولاةُ الحكم ولا كيف يديرون المدينة، فكل منهم حاكم، ولا حدود تحدد نفوذ كل واحد، فقال: " وعلى طوال إقامتي في المدينة لم أَدْرِ كيف تصرُّف الولاة فيها، ولا مَنْ له التصرف التام؛ فإن شيخ الحرم ـ وهو كبير الخدم ـ تنفذ أحكامه، وكبير

---

[1] انظر المصدرين السابقين الأول ١/ ٤٠ والثاني ٣ و ٤/ ٢٧٠، وكتاب الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني لمولاي بالحميسي/٧٥. وفيها ترجمة الكوراني، وله ترجمة موجزة في كتابي الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر١/ ١٧١.

www.alraddadi.me

العسكر الساكنين بالقلعة أمير أيضاً، وابن عم السلطان زيد ابن محسن وزوج ابنته تَقِيَّة النائب عنه في النظر في مصالح البلد كذلك، والأمير الذي تنسب إليه إمرة المدينة من الشرفاء الحسينيين كذلك، والحاكم الذي يسجن ويضرب ويقتل ويؤدب ـ وهو من خدَّام السلطان ـ كذلك، ولا أعلم هل لكل واحد من هؤلاء ولاية على قوم بالخصوص أو هو على عمل من الأعمال، ولم يشفِ لي أحد غرضاً في كيفية ذلك، ولم أبالغ في الفحص عنه؛ إذ لم يتعلق لي به غرض إلا مجرّد العلم بالإحاطة بأخبار المدينة: دينيها و دنيويها؛ لحبي لها ولساكنها"[1].

والذين يدعى لهم في خطبة الجمعة في المسجد النبوي ثلاثة " أولهم السلطان الأعظم ملك الترك ويبالغ الخطباء في وصفه بأوصاف لا ينبغي أن يعظم بها أحد من الخلق" وأشار العياشي إلى أن أجمل تلك الأوصاف و أكملها "قولهم فيه: خادم الحرمين الشريفين"[2] وإنه رأى في بعض التواريخ أن أول من وصف بهذا الوصف من الملوك صلاح الدين الأيوبي، وأنه لما سمع الخطيب يقولها سجد لله شكراً، وثاني

---

[1] ماء الموائد ٣٠٩/١ ، ومجلة العرب، السنة ٣ و ٤ ص ٢٦٢ (نص الرحلة) والمدينة المنورة في رحلة العياشي/٢٣٦ (نص الرحلة).

[2] قال العياشي عن بقية الأوصاف :" .... موصوفاً بكونه ملك البرين والبحرين والشامين والعراقين" المصادر نفسها في المواضع نفسها.

www.alraddadi.me

من يدعى لهم على المنبر زيد بن محسن أمير مكة المكرمة ثم أمير المدينة الحسين بن جماز[1].

هذا الوصف للنفوذ السياسي في المدينة لا يكاد يوجد إلا عند العياشي الذي وصف الحياة وصف من شاهد ولاحظ، ومعه الحق في أنه لم يعرف من له التصرف التام، أو حدود ولاية كل متنفذ من هؤلاء المتنفذين من أصحاب المراكز النفوذية، فالحكم في المدينة - كما وصفه العياشي - يدور بين خمسة مراكز نفوذ هي:

١- شيخ الحرم، وهو كبير خدم المسجد النبوي، وهؤلاء الخدم كانوا يسمون بالأغوات وفي اسطنبول الطواشية، وهم خصيان يؤتى بهم لخدمة المسجد النبوي، وشيخهم - كما قال العياشي - "من عبيد السلطان، يؤتى به من القصر السلطاني في اسطنبول[2]" وهو مستبد بالسلطة، وهو قريب من السلطان في اسطنبول، فمثلاً في القرن

---

[1] المصادر نفسها الأول ٣٠٩/١، والثاني /٢٦١، والثالث/ ٢٣٧. الحسين بن جماز: في المصادر كلها ابن حماد، وهو خطأ، والخطأ نفسه في كتاب (تاريخ أمراء المدينة المنورة) لعارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق،ص٣٤٩، وهو ناقل عن العياشي فأمراء المدينة الحسينيون يقال لهم ابن جماز نسبة لجدهم جماز بن شيحة، وانظر نسبه في نصيحة المشاور لابن فرحون ص/٢٨٣، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

[2] ماء الموائد ٣٠٥/١. شيخ الحرم: بدأ نظام مشيخة الحرم من عام ٩٨٩هـ/١٥٨١ م ومنذ ذلك التاريخ تمكن الأغوات من السيطرة على المدينة، وكانت مهمته حفظ النظام العام والسيطرة على مقاليد الأمور ورياسة الإدارات كلها والترشيح للوظائف الكبرى كوظائف الفرق العسكرية والإفتاء والتدريس باستثناء وظائف القضاء، انظر في ذلك د. محمد علي فهيم بيومي: المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري ط١، ١٤٢٧هـ، دار القاهرة ص/٥٢.

www.alraddadi.me

الحادي عشر الهجري وُصف (قزلار أغاسي) الطواشي بأنه" كان مقرَّب الحضرة السلطانية ومدبر الدولة العثمانية"[1] فقد عهد السلطان أحمد بن محمد بن مراد بالخلافة لأخيه مصطفى لصغر سن ابنه عثمان، لكن قزلار خلعه بعد ثلاثة أشهر وعشرة أيام سنة ١٠٢٨هـ وولى الخلافة الصبي عثمان الذي ضنَّ بها والده عليه، فشغب الجند على قزلار، ونفوه إلى مصر و أعادوا الخلافة لمصطفى وقتلوا عثمان[2] فالأغوات في العهد العثماني بلغوا مراتب عالية.

لقد وصف العياشي النفوذ المتسلط لشيخ الحرم ـ كما سيأتي ـ لكنه صار يعد شيئاً يسيراً إذا قيس بما جاء بعده من تسلط في القرون التالية، وبخاصة القرن الثاني عشر الهجري، فقد قاد شيخ الحرم في هذا القرن فتناً وحروباً دامية، ولذا قال الشيخ حمد الجاسر عن وصف العياشي لتسلط شيخ الحرم: " يصف العياشي في رحلته الحكم في طيبة الطيبة حين زارها عام ١٠٧٢هـ قبل تأليف تلك الرسالة بأكثر من قرن، والدولة التركية كانت أشد عناية واهتماماً وأقوى التفاتاً إلى هذه البلاد منها في العصور التي خلفته[3] " ومن أبرز الفتن التي وقعت بعد ذلك ودار أغلبها حول سوء تصرف مشايخ الحرم

---

[1] العصامي: سمط النجوم العوالي ١٠٤/٤

[2] انظر تفاصيل ذلك في المصدر السابق ١٠٤/٤

[3] مجلة العرب، السنة ٢٠ ج ٧ و٨ /٤٣٩، في تقديمه لرسالة (كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور) لزين العابدين البرزنجي.

www.alraddadi.me

ما حصل في سنين ١١١١هـ و ١١٣٤ هـ و ١١٤٨هـ و ١١٥٥ هـ و ١١٨٧هـ وكلها مفصلة في كتب التاريخ وليست موضوعنا هنا[١].

ولنعد إلى وصف العياشي لتسلط شيخ الحرم، فقد وصف شيخ الحرم بأنه " كبير العبيد الأغوات الموقوفين على خدمة المسجد والحجرة الشريفة، والآغا بلغتهم كناية عن الخصي من العبيد، واختاروا وقف الخصي دون غيره لكونه أطهر وأنزه وأكثر فراغا من الأشغال... وهم عدد كبير قريب من الثمانين... فأكبرهم شيخ الحرم، وهو يتجدد في الغالب إما في سنة أو سنتين أو أكثر، ولا يأتي إلا من دار السلطان من عبيده، ويليه النقيب ويليه المستلم..."[٢]

ووصف العياشي عملهم في المسجد النبوي، وسعة عيشهم، إلى أن قال عن نفوذ كبيرهم في المدينة المنورة :"ولكبيرهم كلمة نافذة في المدينة: تنفذ أحكامه، وتمضي تصرفاته في القوي والضعيف، والشريف والمشروف، ويطأ عَقِبُه الكبراء والأشراف[٣] "، وقد بلغ طغيان شيخ الحرم وتدخله في شئون أهل المدينة أن تذمر السكان من ذلك وصاروا يرسلون الشكاوى للخليفة، ومن ذلك أن غرس الدين

---

[١] انظر عنها ما كتبه الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب السابقة ٤٤١ – ٤٤٦.

[٢] ماء الموائد ٣٠٥/١ ومجلة العرب، السنة ١٢ ج ٣ و ٤ /٢٥٧ و المدينة المنورة في رحلة العياشي/٢٣٠ (نص الرحلة).

[٣] المصادر السابقة الأول/٣٠٩، والثاني ٢٦١ و الثالث ٢٣٥. ويطأ عقبه: هكذا في رحلة العياشي، لكن محقق المصدر الثالث كتبها ويطاوعه، ونبه أنها في الأصل يطأ عقبه،ولم يستند لمصدر في تعديله.

www.alraddadi.me

الخليلي المدني (ت ١٠٥٧هـ) وُجّه لخطابة المدينة فسكنها، فقام سنة ١٠٤٨هـ، برحلة إلى اسطنبول عرض خلالها شكوى باسم أهل المدينة من شيخ الحرم آنذاك فأنشأ قصيدة وخاطب بها الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) مطالباً بإزالة الخصيان من المسجد النبوي، ومنها:

لا تجعلن على المدينة أسوداً ... شيخاً على حرم النبي العدناني
قوم لهم طبع شديد زائد ... لا يشبعون من الحطام الفاني
ما كل ما يُدرى يقال وأنتمُ ... أدري بطيش السادة الخصْيان
يستنزلون لأخذ ما قد جاء من ... صدقات خير للفقير العاني
فانظر لنا شيخاً نقيباً صالحاً ... مستنزهاً عن ذا الحطام الفاني
إن لم يجز إلا خصياً أسوداً ... فاخصوا لنا شيخاً من البيضان[1]

وكرر الشكوى من تسلط الأغوات وشيخهم إبراهيمُ الخياري المدني الذي رحل إلى اسطنبول سنة ١٠٨٠هـ، ومما قاله مخاطباً السلطان عن أهل المدينة[2]:

وقد أتوا يرجون إحسانكم ... والمنهل العذب كثير الزحامْ
بأن تولوا لهم حازماً ... ذا فطنة تسمو، وعقلٍ تَمَام
فأدركونا وأصيخوا لنا ... وبلغونا قصدنا و المرام
وخلصونا من أناس لهم ... عقلٌ كطفلٍ لم ينله الفطام

---

[1] انظر القصيدة وترجمة غرس الدين في كتابي الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر ١٢٥/١ وهناك مصادر ترجمته، ومجلة العرب السنة ٢٠ ج ٧ و ٨ ص ٤٤٠.

[2] تحفة الأدباء وسلوة الغرباء (رحلته) ٣٣٣/١، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة ١٩٧٩م، وانظر مجلة العرب السنة ٢٠ ج ٧ و ٨ ص ٤٤١.

www.alraddadi.me

وهذه الشكاوى تؤكد الوصف الدقيق الذي وصفه العياشي في رحلته للتسلط النفوذي لشيخ الحرم.

٢ـ كبير العسكر الساكنين بالقلعة:

اقتصر العياشي على وصفه بأنه أمير أيضاً أي صاحب نفوذ، وهذه القلعة أنشئت عام ٩٣٩هـ/١٥٣٢م في عهد السلطان سليمان القانوني، ويسكن بها رجال الفرق العسكرية العثمانية السبع[١]، "وفرقة أخرى هي النوبتجية منوط بها جميعاً خدمة وحراسة المدينة المنورة وخفارتها ليلاً[٢] " .

وقد وصف أوْليا جلبي[٣] في رحلته سنة ١٠٨١ هـ (وهي قريبة من رحلة العياشي) قلعة المدينة وأبعادها، ويفهم من وصفه العام للقلعة وأبراجها وأبوابها أن القلعة قسمان: خارجي و داخلي، أما القسم الخارجي فهو السور الذي كانت أبوابه: باب مصر، وباب الحاج، وباب الشام، وباب الشريف، وباب البقيع، وقد حدد محيط القلعة هذا بـ ٣٣٥٠ خطوة،

---

[١] انظر في ذلك د. محمد علي فهيم بيومي: المغاربة في المدينة المنورة (سابق) ٥٤، وفيه ص/٥٣ أسماء هذه الفرق السبع التي كانت تحافظ على الأمن داخل الأقاليم أو تقوم بالحروب خارجياً، وفيه المصادر التي اعتمد عليها.

[٢] حسين أفندي الروزنامجي: ترتيب الديار المصرية، تحقيق وتعليق د. محمد شفيق غربال تحت عنوان " مصر على مفرق الطرق" المجلة التاريخية، المجلد الرابع ج١، مايو١٩٣٦م ص/٢٣، نقلاً عن د. بيومي في كتابه السابق.

[٣] أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ترجمة د. الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ولم تذكر سنة الطباعة أو رقمها، ص/١١٥، وقد عدلت الأخطاء اللغوية. باب مصر: في العهود المتأخرة يقال باب المصري وباب الشامي.

www.alraddadi.me

وسمك الجدران ستة أذرع، وارتفاعها عشرون ذراعاً، و داخل القلعة ألفا منزل عامر ... ولا يوجد داخل القلعة مساجد أو جوامع، ولكن بالقرب منها، وهناك خارج الأسوار "أما القسم الداخلي، ويبدو أنه يقصد القلعة التي كانت على جبل سُلَيْع وسمّاها البرج الداخلي فقال عنه: " ويوجد بالقلعة الداخلية محراب واحد، وعدة عنابر (مخازن) وبها مخزن للذخيرة (جنجانه) وما بين سبعين أو ثمانين منزلاً صغيراً، ومسجدها بديع الصنع، وهو من مآثر السلطان سليمان[1] " وقد عرّف جلبي بالمباني الموجودة من مدراس وخانات و أوقاف ومناهل العين الزرقاء والضواحي والقصور والحدائق، والراجح أن العياشي لا يريد القلعة بهذا المفهوم الواسع أي السور المحيط بمنطقة المسجد النبوي الشريف بل يريد القلعة التي وصفها جلبي بالداخلية.

غير أن أوليا جلبي أكّد كلام العياشي في تداخل السلطات حين ذكر أن السيطرة على الأمن لشيخ الحرم فقال: " يسيطر شيخ الحرم على الأمن في المنطقة بالجند الذي تحت إمرته، والذين يبلغ عددهم خمس مئة جندي" وذكر الأقضية التابعة للمدينة إدارياً من ينبع إلى خيبر ثم قال: " وبالقلعة ثمانون مدفعاً، وسجن، ومِهتَر، وجنود محاصرة ومحافظ[2] ".

---

[1] المصدر السابق ص/١١٦ جنجانة: هكذا، ولعلها جبخانة، وهو الأنسب.

[2] المصدر نفسه /١١٤، وقد عدلت الأخطاء اللغوية، حيث وردت " وبالقلعة ثماثين...". مهتر: فرقة موسيقية تعزف السلام الوطني وغيره في المناسبات، انظر ما فصله عنها المترجم ص/١١٥.

www.alraddadi.me

٣ـ ابن عم السلطان زيد:

كلمة (السلطان) في ذلك الوقت في الحجاز تستخدم وصفاً لذي النفوذ أحياناً، ولم تقتصر على السلطان العثماني وإن كان هذا هو الأشهر، فإذا تمكن شخص من سلطة ونفوذ وصف بالسلطان فمثلاً العصامي وصف أحمد بن رحمة بن مضيان شيخ قبيلة حرب بذلك فقال في أحداث سنة١٠٧٨ هـ [١] "فسلكوا بالأمان تلك الأنحاء، وتلقاهم شيخ العرب وسلطانها القائم بخدمة الحرمين من أزمان أحمد ابن رحمة بن مضيان، وتوجه بهم إلى المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام"، فالسلطان تعني صاحب النفوذ والسلطة والسيطرة، ولا تعني تنظيماً إدارياً.

وفي هذا المفهوم يأتي وصف العياشي لزيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي أمير مكة آنذاك بالسلطان زيد، وقد حكم زيد ما بين سنتي ١٠٤١ ـ ١٠٧٧ هـ[٢] وامتد حكمه إلى المدينة فولّى ابن عمه و زوج ابنته تَقِيَّة النيابة عنه في النظر في مصالح البلد كما ذكر العياشي، ولم يذكر العياشي اسم ابن عمه فهو معنّي بوَصْفه وهو حكم المدينة ضمن مجموعة من حكامها.

---

[١] سمط النجوم العوالي ٤/٤٩٤.

[٢] انظر في ذلك العصامي : سمط النجوم العوالي ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٩.

www.alraddadi.me

٤ـ الأمير الحسيني:

الحسينيون أمراء المدينة كانوا في بداية أمرهم في صراع مع حكام المدينة من الجعفريين وقد تغلبوا على الجعفريين بمناصره قبيلة حرب عند نزولها الحجاز[١]، و أول من ولي إمارة المدينة منهم طاهر بن مسلم الحسيني (ت٣٨١هـ) على قَوْل، ثم تعاقب أحفاده على الإمارة يقوَوْن حيناً ويضعفون حيناً آخر[٢] كما حصل في القرن الحادي عشر، وقد ذكر العياشي أن الأمير الحسيني وَقْت رحلته هو الحسين ابن جماز حيث قال في الدعاء في خطبة الجمعة[٣] : " ثم يدعى لأمير المدينة السيد الحسين بن جماز، موصوفاً بكونه حامي حمى المدينة و أميرها، على أنه ـ فيما يظهر ـ ليس له من ولاية المدينة وإمرتها إلا الاسم أو ما يقرب منها؛ لأنه من تحت أمر السلطان زيد والتصرف لنوابه وأقاربه" وبعد أن ذكر ما كان لهم من قوة وغلبه في الماضي قال[٤]: " والآن صار الأمر لبني الحسن [أمراء مكة] فجمعوا الولايتين ولم يبق لبني الحسين إلا رسوم قليلة من ولاية المدينة، وصاروا كلهم

---

[١] لمزيد عن ذلك يراجع حمد الجاسر في تقديمه للتعليقات والنوادر لأبي علي الهجري ط ١، ٢٣/١ وما بعدها، ومجلة العرب، السنة ٣٠ ج ١و ٢ سنة١٤١٥هـ ص/٧٩.

[٢] للمزيد عنهم يراجع حمد الجاسر في تقديمه للتعليقات والنوادر (سابق) ٣/١ وابن فرحون: نصيحة المشاور (سابق) ص ٢٨٣، وعارف عبد الغني: أمراء المدينة (سابق) ص/٢١٧ وما بعدها

[٣] ماء الموائد ٣١٠/١، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج ٣و ٤ ص ٢٦١(نص الرحلة) والمدينة المنورة في رحلة العياشي/٢٣٧ (نص الرحلة) والحسين بن جماز: سبق التعريف به في بدء الكلام عن تعدد أصحاب النفوذ.

[٤] المصادر السابقة الأول ٣١٠/١ والثاني ص ٢٦١، والثالث ص ٢٣٧.

www.alraddadi.me

إلا القليل بادية يرحلون وينزلون بنواحي المدينة، وهم قبيلة عظيمة قوية ليس لهم اسم إلا بنو الحسين، وكبيرهم الموسوم بولاية المدينة نازل بالمدينة وبعض أقاربه"، فهذا الأمير الحسيني له أمر ونهي ضعيف؛ لأن التصرف لأمير مكة الذي كان له النفوذ كما سيأتي في الكلام عن نفوذ القاضي.

٥ ـ الحاكم:

يقصد العياشي بهذا الحاكم محافظ المدينة، وقد أشار أَوْليا جلبي في رحلته السابقة عند وصفه القلعة إلى أن من حكام المدينة المحافظ، ووصفه العياشي بأنه " يسجن ويضرب ويقتل ويؤدب" وأنه من خدَّام السلطان العثماني.

نفوذ القاضي:

كان القاضي في المدينة المنورة يعين بقرار من السلطان العثماني، وكان شيخ الإسلام (أعلى رتبة في العلم والفتوى) في اسطنبول هو المسئول الأول عن اختيار القضاة ويوافق الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) على الترشيح قبل صدور القرار ومنهم قضاة مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكان القاضي ينتمي إلى المذاهب الرسمي للدولة العثمانية وهو المذهب الحنفي ويرأس قضاة المذاهب السنية الأخرى الذين يعدون نواباً له، وكان منصب القاضي لا يتولاه إلا

www.alraddadi.me

الأتراك في الغالب، وكان أعلى درجات السلك القضائي[1] منصب قاضي القضاة ويسمى قاضي عسكر ومقره العاصمة ويشرف على جميع أعمال القضاء في الدولة، ويليه في الرتبة طائفة القضاة من فئة مَوْلى كبير أي السيد الكبير من القضاة وإلى هذه الفئة ينتمي القاضي المعين في المدينة المنورة[2] وقد سبق أن نوهنا أن قاضي المدينة لا يخضع لأي من أصحاب النفوذ في المدينة.

بعد هذا التعريف برتبة قاضي المدينة نأتي على وصف العياشي لسلطاته القضائية، فقد أشار إلى العدالة الشرعية للقاضي، وإلى سلطته القوية، و إلى استقلاله وعدم خضوعه لأي سلطة بما في ذلك شيخ الحرم صاحب السلطة على القوي والضعيف، وقد أدت هذه الأوصاف إلى اغتيال القاضي العادل وضياع دمه، بسبب ضربه على أيدي كثير من ولاة المدينة ومنعهم من الباطل والظلم الذي هم به متصفون كما قال العياشي[3]: " بيد أنه في سنة تسع وخمسين[4]،

---

[1] مراتب القضاة في العهد العثماني: قاضي القضاة فقاضي مولى كبير (هم قضاة ١٧ إقليماً) فقاضي مولى صغير (يعملون في عشر مدن) فالقضاة العاديون وعددهم كبير.

[2] لمزيد من المعلومات يراجع د. محمد على فهيم بيومي: تاريخ القضاء في الحرمين الشريفين إلى القرن الثالث عشر الهجري، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م، زهراء الشرق، القاهرة، وانظر في مولوية (قضاء) المدينة أوليا جلبي: الرحلة الحجازية/١١٤، وشرح المترجم لتطور مدلول مولوية.

[3] ماء الموائد١/٢٨٨، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج ٣و ٤ ص/٢٦٤ (نص الرحلة) والمدينة في رحلة العياشي ٢٠٣ (نص الرحلة).

[4] أي سنة ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م.

www.alraddadi.me

وهي أول سنة حججت فيها، جاء إلى المدينة قاضٍ تركي[1] من قبل القسطنطينية، فأظهر فيها العدل غاية، وأقام الدين، وضرب على أيدي كثير من ولاة المدينة، ومنعهم من كثير من الباطل والظلم الذي هم به متصفون، فثقلت وطأته عليهم، واشتدت شكيمته حتى على السلطان الأمير زيد بنفسه[2]، حال بينه وبين كثير من مراداته التي على خلاف الديانة، وكان السلطان زيد قد قدم في تلك السنة إلى المدينة، وأقام بها مدة، فلم يزالوا يحتالون على القاضي حتى اغتيل ليلة من الليالي، وكان يأتي إلى المسجد النبوي قرب صلاة الصبح راكباً ليصلي في المسجد، فكمن له رجل قريباً من باب المسجد، فضربه بجنبيَّة، وقطع بها أمعاءه، ففر الضارب في ظلمة الليل، ولم يكن مع القاضي إلا قليل من خدمه... وفر الضارب، ولم يُدرَ إلى أين حتى سُمع به بمكة أو جدة، فأظهر السلطان التأسف على موته والتحسر، وأظهر التفتيش عن الضارب، و زعم أنه لا علم لديه، ولو علمه لنكل به وقتله، والخاصة من الناس لم يصدقوه في ذلك، وعلموا أنه لا يقدر أحد على الجرأة على هذا الفعل العظيم إلا بإذنه، وأنه لا يخفى عليه فاعله لشدة حزمه، وعظيم مكره، وكثرة دهائه،

---

[1] اسمه الشيخ الأفندي زفر، انظر العصامي: سمط النجوم العوالي ٤/٤٦٦، وقد ذكر الحادثة.

[2] يقصد زيد بن محسن أمير مكة الذي سيطر على المدينة، وقد سبق الكلام عنه، وشرح معنى السلطان هناك في الكلام عن ابن عمه.

www.alraddadi.me

حتى إنه لا يخفى عليه سارق شَمْلَة[1] بأرض الحجاز كلها، فكيف يخفى عليه مثل هذا! فبالله أي قاضٍ بعد هذا الشهيد يقدر على إظهار الحق والقول به، في هذه الديار وما شاكلها؟ وإلى الله المشتكى".

وهكذا كشف العياشي استقلال القضاء عن الحكام التنفيذيين في المدينة، وامتدح عدالة القاضي، و أدان سلوك الظلم الذي أودى بحياة هذا القاضي، وتساءل عمن يستطيع إظهار الحق والقول به بعد هذه الحادثة، وقد ذكر المحب الطبري أنه حين حامت الشكوك حول أمير مكة حاصره العسكر العثماني حتى أقنعهم أن ذلك حصل بغير علمه، وفي اليوم التالي استدعى رؤساءهم لينظر في حالة القتلة، لكنه حبسهم حتى وقعت فيهم شفاعة فأطلق أسرهم[2].

على أن هذه الصورة لعدالة هذا القاضي لم تكن الصورة الكاملة للقضاء فقد ذكر العياشي أن بعض أصحابه الذين لقيهم بالمدينة أثنوا على أحد قضاتها ثناء حسناً ثم قال[3] " وغالب الناس بالمدينة على خلاف مدّعى صاحبنا هذا في هذا القاضي، والله أعلم بحقيقة أمره" وأشار إلى " أن المناصب الشرعية كلها في البلاد المشرقية حجازاً و مصراً و شاماً... إنما تنال بالشراء من الولاة... خصوصاً منصب القضاء، فما رأينا ولا سمعنا في البلاد كلها بقاضٍ

---

[1] الشملة: كساء يُشتمل به أي يغطي به الجسم.

[2] إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ٢/٧٧، تحقيق د. محسن محمد حسن سليم، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، دار الكتاب العربي، القاهرة.

[3] المدينة المنورة في رحلة العياشي/٢٠٣.

www.alraddadi.me

يقارب الحكم بما يشبه أن يكون شرعاً، وإنما مدار أمرهم على الرضا جهاراً، فيُنقض الحكم الواحد في اليوم الواحد مراراً متعددة بحسب كثرة الرشا وقلتها، والله المستعان[1] " ولا يخلو كلامه من مبالغة وتعميم غير أن الداء موجود.

وصف عادات السكان الاجتماعية:

صورة الحياة العامة:

انجذب العياشي للصبغة العربية لمجتمع مكة المكرمة أكثر من انجذابه للصبغة الأعجمية لمجتمع المدينة المنورة، فهو قد فضل مجتمع مكة للصبغة العربية الأصيلة واستنكر الصبغة الأعجمية في المدينة، وهو في ذلك يصدر عن وصف لواقع عربي يتطلع إلى أن يكون في المدينة، ولا يعود ذلك إلى عصبية عربية، بدليل أنه امتدح نموذج العدالة الشرعية لقاضي المدينة التركي الذي دفع حياته ثمناً للعدالة وأدان سلوك الجور من أمير مكة والمدينة العربي[2]، كما سبق بيانه في الكلام عن النفوذ القضائي، ولذا قدَّم العياشي وصفاً للصورة العامة الظاهرة لحياة المجتمع المدني فقال[3]: "وأهل المدينة - زادهم الله خيراً ووسع عليهم - أهل رفاهية وتوسع في المعيشة في

---

[1] ماء الموائد ٢٨٨/١ ، ومجلة العرب، السنة ١٢ ،ج ٣و ٢٦٤/٤، والمدينة في رحلة العياشي/٢٠٢.

[2] انظر في ذلك محمد أمحزون: المدينة في رحلة العياشي٣٧ و٤٢.

[3] ماء الموائد٣٠٢/١، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج ٣و ٤ ص/١٩٧ و ٢٣٧، والمدينة المنورة في رحلة العياشي/٢٢٧ (وفيهما نص الرحلة).

www.alraddadi.me

زماننا هذا، وتغالٍ في الملابس الفاخرة، وتزيوا بزي الأعاجم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم؛ لكثرة سكن الأعاجم بها؛ فإن بها طائفة كبيرة من عسكر الترك....خلاف أهل مكة فإنهم لم يزالوا على أعرابتهم، واستعمال البداوة".

وأيد العياشي رأيه الذي رآه بموافقة شيخه الثعالبي له، فقال[1]: " ولقد سألت شيخنا الثعالبي عن سبب إيثاره سكنى مكة على المدينة مع أنّا نقول بفضل المدينة على مكة[2] فقال: إن أهل هذه المدينة قد تحضروا وغلب عليهم طبع الأعاجم ورفاهيتهم وإسرافهم، و تشبهوا بهم في ملبسهم في غالب أحوالهم، وأنا امرؤ مسكين فقير أخاف أن ينشأ أولادي وأزواجي ويتطبعوا بطبعهم في ذلك، بخلاف أهل مكة فإنهم لم يزالوا على أعرابيتهم، واستعمال البداوة، وعدم المبالاة، والاعتناء في الملبس والمأكل، فقد غلبت عليهم البداوة وكثرة مخالطتهم لأهل البادية وسكناهم بها" وبعد أن أشار إلى أن أهل مكة يسترضعون لأولادهم في البادية وهم على زيهم في لباس العرب وتعممهم قال[3]: "وعلى كل حال فأهل مكة قد غلبت عليهم البداوة على جميع شؤونهم وظهرت فيهم دون أهل المدينة، ولذلك قلّ سكنى الأعاجم بها إلا القليل..أخبرني بهذا من سَبَر حال البلدين وعلِمه، زيادة على ما رأيته أنا من ذلك".

---

[1] ماء الموائد ٣٠٣/١ ، والمدينة المنورة في رحلة العياشي ٢٢٧ (نص الرحلة).

[2] يريد بذلك المذهب المالكي.

[3] ماء الموائد ٣٠٣/١ والمدينة المنورة في رحلة العياشي/٢٢٨ (نص الرحلة).

www.alraddadi.me

وعلل العياشي لحياة الرفاه في المدينة بأن الأعاجم المقيمين بها[1]" يشترون الحصص والجامكية[2]،فيجلسون بالمدينة و يرتزقون بما يأتيهم من ذلك على حالهم التي كانوا عليها في بلادهم من التوسعة فاقتدى بهم غالب أهل المدينة من أقويائها".

الملبس والمآكل:

وَصَفَ العياشي أهل المدينة بأنهم أهل تغالٍ في الملابس الفاخرة، وأنهم تزيوا بزي الأعاجم في مآكلهم ومشاربهم معللاً ذلك بكثرة سكنى الأعاجم بينهم كما سبق، غير أن العياشي استدرك في مكان آخر من رحلته بأن ذلك ليس عاماً بل خاصاً بالأغنياء فقال[3]:" وقد كانت المدينة في الزمن المتقدم معروفة بالقناعة حتى قال مالك - رضى الله عنه - في الكفارة والنفقات بالتفاوت بين المدينة وغيرها لقناعتها[4]، فآل في هذا الزمن إلى خلاف ذلك، فصاروا أرفه الناس عيشاً، وأكثرهم في المآكل والملابس إسرافاً، أعني الكبراء، وأما الفقراء وغالب المجاورين خصوصاً المغاربة فهم على حالهم من الفقر والمسكنة" وأشار العياشي إلى أن أهل المدينة إذا جاء الشتاء تدثروا بالثياب الكثيفة وأنه تلقى البرد بجسده لإلفه للبرد

---

[1] المصدران السابقان الأول ٣٠٣/١ والثاني /٢٢٧.

[2] الجامكية: الراتب المالي الذي يصل من اسطنبول وغيرها للمقيمين في المدينة.

[3] ماء الموائد ٣٠٣/١ ومجلة العرب السنة ١٢ ج ٣و ٤ ص/٢٣٨، والمدينة المنورة في رحلة العياشي/٢٢٧ (نص الرحلة).

[4] هذا ليس في كل وقت فقد عرفت المدينة الترف أيام بني أمية.

www.alraddadi.me

في بلاده ولم يسمع كلامهم بأن البرد في أول الشتاء أضر من البرد الشديد في وسطه وأن ذلك كان سبباً في حصول المرض المتطاول له[1].

ولأهل المدينة ولوع وغرام بأكل اللحم كما وصفهم العياشي، بل إن من الأثرياء من خصص أحد مماليكه لشراء اللحم، وهو في ذلك إنما يقصد الأغنياء كما هو الحال في الملابس حيث قال[2]: "ولأهل المدينة ولوع وغرام بأكل اللحم زاعمين أنهم يستضرون بتركه لحرارة أبدانهم ويبسها... حتى إن من نسائهم من لا يطبخ غداء ولا عشاء إلا أن يكون لحماً، ويقلن: نحن لا نعرف الطبخ بلا لحم، ولو أدى ذلك إلى بقائهم بلا عشاء ولا غداء، وقد أخبرني بعض أصحابنا أن من أهل المدينة من يشتري العبد فلا يكون له شغل إلا شراء اللحم، فيدور عليه في المدينة و أسواقها، وفي العوالي وقباء في زمن قلته..."

وذكر العياشي أنهم يطبخون الأرز والهريسة باللحم، وفصّل طبخهم للهريسة باختلاط اللحم مع القمح حتى يصير كالعجين ثم يصبون عليه السمن إلى أن قال[3]: " وهي عند أهل الحجاز من أشهى

---

[1] ماء الموائد ٣٠١/١ ، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج ٣و ٤ /٢٥٦ ، والمدينة في رحلة العياشي/٢٦٦ (نص الرحلة).

[2] المصادر نفسها الأول ٣٠٢/١، والثاني/٢٤٥، والثالث/٢٢٦.

[3] المصادر نفسها الأول ٢٤٥/١، والثاني ٢٥٢، والثالث ١٧٦.

www.alraddadi.me

الأطعمة، وهي قوية إذا شبع منها الإنسان قد لا يشتهي الطعام يوماً وليلة".

عادات نساء المدينة:

عرّج العياشي على بعض عادات نساء المدينة مستنكراً أكثرها، ومن ذلك ما أشار إليه بقوله: " وبالجملة فلا ينتفع أهل المدينة بركب انتفاعَهم بأهل الشام؛ فإنهم يقدمون بتجارات كثيرة،وطعام، وزيت وأشربه، يبيعونها عند قدومهم، ويدخرون ما بقي إلى الإياب، فيبيعون كل ذلك بالمدينة[1]" ومن عادة نساء المدينة أن يباشرن البيع والشراء بأنفسهن إذا جاء هذا الركب، فالعياشي قال عن خروج النساء عند قدومه:" ولأهل المدينة عند قدومه عادة مذمومة، وهي أنه لا تبقى مخدّرة من النساء، شريفة كانت أم وضيعة إلا خرجت تباشر البيع والشراء بنفسها، ولهن على الرجال في ذلك الوقت إتاوة يؤدونها لهن، يبتعن بها ما أحببن من اللائق بهن من طيب وشبهه، وربما لا تقنع إحداهن من زوجها إلا بالخمسين ديناراً فما فوقها[2] "وبعد أن أشار إلى أن بعض الأزواج يتسلف الخمسين ديناراً قال[3]: " وهذه حسرة عظيمة وذل للرجال الذين جعلهم الله قوامين على النساء، فلا ينبغي لذي همة أن يرضى بذلك".

---

[1] ماء الموائد١/٢٤٥، و مجلة العرب، السنة ١٢، ج ٣و ٤/٢٤٦، والمدينة المنورة في رحلة العياشي/١٠٣.

[2] المصادر في المواضع نفسها.

[3] المصادر في المواضع نفسها.

www.alraddadi.me

على أن العياشي (في انتقاده الشديد هذا لخروج نساء المدينة للبيع والشراء) أعقب ذلك بما يكون حجة للنساء عليه فقال[1]: " بيد أن نساءهم يبالغن في الستر الظاهر بحيث لا يبدو من المرأة ولا مغرز إبرة حتى من أطرافها: يلبسن الخفاف السود، ويتبرقعن، ويسدلن من أزرهن ما يكون غاية من الستر، إلا أنهن يكثرن من الطيب عند الخروج، فيوجد عَرْف الطيب منهن من مسافة، فيكون ما سترته ظاهراً أبدته باطناً " والعياشي يرى أن النساء بهذه الروائح عاريات"لأن حقيقة التعري إبداء ما حقه أن يُخفى" وبحث المسألة فقهياً هناك وهو يبدو مشتطاً في رأيه، ولكن حسبه أنه سجل عادة اجتماعية، والظاهر أن عادة البيع والشراء من النساء معروفة في الحجاز ومستنكرة في المغرب، فهذا الرحالة التركي أوليا جلبي المعاصر للعياشي يقول في رحلته سنة ١٠٨٢هـ عن قرية الجديدة في وادي الصفراء[2]:" وفي سوقها تقوم السيدات العربيات بالبيع والشراء، وهن راضيات مبتسمات، أغلبهن مليحات".

وانتقد العياشي خروج النساء للتنزه في البساتين وعده عادة مذمومة، وهذا رأيه، ولكن يكفينا أنه أرخ للجانب الترفيهي في المدينة في زمانه فقال[3]:"ونساء المدينة لهن عوائد مذمومة في الخروج

---

[1] المصادر في المواضع نفسها.

[2] الرحلة الحجازية (سابق) ١٦٣.

[3] ماء الموائد١/٢٥١، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج٣و ٤/٢٤٥، المدينة المنورة في رحلة العياشي/١١٧ (نص الرحلة).

www.alraddadi.me

إلى التنزه والتفرج في البساتين والأماكن المنفسحة، ويسمون ذلك القائلة[1]، فيقولون: اليوم نُقَيِّل في الموضع الفلاني، وخروج الرجال لذلك أكثر، فتكلف المرأة زوجها في ذلك من النفقة مالا قدرة له عليه".

ومما عابه العياشي على نساء المدينة عادة الشخشخة وهي المبلغ المالي الذي يمنحه الزوج لزوجته لتشتري به ما تشتهيه من الأزهار والطيب، فقال[2]: " ولقد أُخبرت أن للنساء عليهم عادة يسمونها الشخشخة، وهو ما تشتري به المرأة ما تشتهيه من الأزهار والطيب، فربما بلغ ذلك ريالاً في كل يوم" ، ويبدو أن هذا النقد والنقد السابق لشراء المرأة للطيب من ركب الشام استند فيه العياشي إلى أن ذلك يكلف الزوج كثيراً وليس لنقد الموضوع في ذاته وقد يكون ذلك لعدم وجوده في المغرب فهو خلاف المعتاد لديه.

نزهات أهل المدينة:

سبق أن أوردنا انتقاد العياشي لعادة خروج نساء المدينة للنزهات، وعده عادة مذمومة، وأنهم يسمون خروجهم لنزهات منتصف النهار قائلة فيقولون: نقيل في الموضع الفلاني، وأن خروج الرجال لذلك أكثر.

---

[1] القائلة: منتصف النهار، ويسمي أهل المدينة النزهة في منتصف النهار قَيْلة إلى اليوم.

[2] ماء الموائد ٣٠٣/١، والمدينة في رحلة العياشي/٢٢٧.

www.alraddadi.me

وقد فصل محمد كبريت في نزهات أهل المدينة، فذكر أن الناس يغتنمون في شعبان الاجتماع بالأحباب والنزهات في البساتين، وأنهم يذهبون فيه إلى البساتين فيقيمون بها على قدرتهم وسعتهم في الرزق[1]، وهذه العادة تعرف بالشَّعْبَنة وما زالت معروفة، بل صرح كبريت أن حب التنزه غالب على طباع أهل المدينة فقال[2]: " والغالب على طباع أهل المدينة محبة التنزه، والاجتماع الخالي من الكُلَف، بحسب ما يقتضيه الحال وربما أفصحوا عن حالهم بقول من قال:

إذا ما اجتمعنا طاب بالأنس وقتنا وطبنا بجمع بالأحبة سالم

وما القصد إلا أن يكون اجتماعنا وما الأكل إلا من صفات البهائم "

والظاهر من سياق كلام العياشي أن نقده لخروج النساء وليس للتنزه، وقد يكون كلام كبريت رداً على نقد العياشي فهو معاصر له وإن لم يصرح بذلك، كما سبق أن صرح أن علماء المدينة أقروا أهلها على رفع الفرش والكتب من المسجد النبوي في المواسم حين أنكر عليهم ذلك بعض الواردين للمدينة.

ومما ذكره العياشي من مواضع التنزه وادي قناة إذا سال فقال[3]: "وأهل المدينة يخرجون إلى موضع أعلاه من ناحية الشرق وراء الحرة فيقيمون فيه الأسبوع أو أكثر".

---

[1] انظر الجواهر الثمينة في محاسن المدينة (تحقيق عائض الردادي) ٥٦٨/٢.

[2] المصدر نفسه ٦٠٩/٢.

[3] ماء الموائد ٣٠٣/١، والمدينة المنورة في رحلة العياشي/١٧٢.

www.alraddadi.me

ومما ذكره العياشي من نزهات أهل المدينة خروجهم إلى مساجد الفتح بقصد التفرج في أيام كثيرة، وفي يوم النصف من شعبان يخرجون بالأخبية والأطعمة الكثيرة ويبيتون فيها، وتطبخ النساء فيه أنواع الأطعمة[1].

وإذا سال وادي العقيق خرج الناس على طبقاتهم ونصبت الخيام والمضارب بحافتيه، وطبخت الأطعمة الكثيرة مع سرور ولهو وطرب، وأقاموا به يوماً أو يومين[2]، وذكر العياشي أن أهل المدينة يقصدون حديقة بئر أريس غربي مسجد قباء للقائلة فيها والتفرج[3].

عادات الزواج:

ذكر العياشي عادة أهل المدينة في عقد النكاح للأغنياء وللفقراء و أسهب في ذلك[4]، ففي عقد نكاح الغني يأتي أكابر المدينة من أرباب المراتب والمناصب والخطيب ويجلسون في صفين من المنبر إلى الحجرة الشريفة: صف مستقبل القبلة، وصف مسند ظهره إلى جدار القبلة، ووصف عقد نكاح لغني حضره في المسجد النبوي الشريف، وهو عقد إملاك لابن هندي قدم من مكة على ابنة رجل

---

[1] ماء الموائد١/٢٥١، ومجلة العرب، السنة ١٢،ج٣و٤ /٢٥١، والمدينة في رحلة العياشي/١١٧.

[2] المصادر نفسها الأول/٢٧٢ والثاني/٢٥١، والثالث/١٦٨.

[3] المصادر نفسها/٢٧٥ والثاني/٢٣٦، والثالث/١٥٠ وهذه البئر هي المشهورة ببئر الخاتم لسقوط خاتم عثمان بن عفان فيها.

[4] انظر ذلك في ماء الموائد ٢٩٥/١، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج ٣ و٤/ ٢٤٣، والمدينة المنورة في رحلة العياشي/٢١٥ (نص الرحلة).

www.alraddadi.me

آخر من كبار تجار الهند، وقد اصطحبه معه شيخُه الثعالبي، وكره العياشي خلاف أمر شيخه مع كرهه - كما قال - لحضور محافل أهل الدنيا المشوبة بأنواع التصنع والمباهاة في ذلك المحل الذي حق الإنسان فيه أن يخضع ويخشع، وأسند الثعالبي ظهره للمنبر النبوي وجلس العياشي بإزائه وعن يسار الثعالبي كبير خطباء المدينة وبإزائه المتعاقدان (أبو الابن و أبو البنت)، وشرع العاقد في خطبة النكاح وأطال الثناء على الله وعلى رسوله ثم في الثناء على المتعاقدين، وذكر العقد، ورضا المتعاقدين بصوت جهوري مع المبالغة في الثناء عليهما، وذلك الذي أنكره العياشي لأن "أكثره زور وباطل بحضرة أشرف الخلق وفي روضة الجنة".

ووصف العياشي الإتيان بأطباق الرياحين التي وضعت بين الصفين، وأطباق اللوز والسكر التي فرقت على الحاضرين، وأنشد المنشد قصيدة أو قصيدتين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، فافترق المجلس، وحين قام الحاضرون يهنئون المتعاقدين انسلّ العياشي لأنه صغرت عنده نفسه أن يحضر هذه المناسبة المبالغ فيها في هذا الموضع الشريف وقال: "وددت أني لم أحضر هذا المجلس، ولو كنت أعلم أن صورة المجلس على هذا الوجه ما حضرته".

وهذا الذي وصفه العياشي هو "صورة إملاك كل ذي وجاهة ورياسة من أمير أو تاجر أو صاحب خطة وأما غيرهم فعلى حسب ما يتفق له".

www.alraddadi.me

ووصف العياشي ليلة الدخول بالزوجة وأن الذي يزف هو الرجل إلى بيت المرأة في دار أهلها، عكس المعتاد في كثير من البلاد، وفي الصباح يذهب الرجل إلى بيته ويقيم الوليمة، وفي الليلة المقبلة تنتقل الزوجة إلى دار الزوج، وقد وصف العياشي ذلك وصفاً مختصراً، مكتفياً في نقده بأن ذلك خلاف عادة كثير من البلدان، لكنه ختم وصفه بأن ذلك سادة العادات حيث قال[1]: "فإذا كان ليلة الدخول أُتي بالرجل ومعه جماعة من أصحابه وأقاربه، ومعهم الشموع، حتى يوقف به على باب المسجد بعد العشاء الآخرة، فيدخل ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، ويدعو فيخرج، ثم يُذهب به، كذلك يزفونه إلى بيت المرأة في دار أهلها عكس المعتاد في كثير من البلاد أن المرأة هي التي تزف إلى زوجها، وأن الدخول في بيت الزوج، وعند هؤلاء لما كانت العادة الدخول بالمرأة في بيت أهلها صار الزوج هو الذي يزف، فإذا أصبح الزوج ذهب من بيت الزوجة إلى بيته وأخذ في إطعام الناس طعام الوليمة، وجاء الناس للتهنئة، وفي الليلة المقبلة تأتي الزوجة من دار أهلها إلى دار الزوج ولكل قطر عادة، ولكل قوم سادة، وعادات السادات سادات العادات".

---

[1] المصادر نفسها الأول ٢٩٦/١، والثاني/٢٤٤ والثالث/٢١٦.

www.alraddadi.me

التهاني:

سبق أن أشرنا إلى أن العياشي ذكر أن التهنئة بالزواج تكون في اليوم الثاني حيث يأتي المهنئون للزوج لتهنئته في منزله إذ الليلة الأولى يدخل على زوجته في منزل أهلها، كما أن من عادة أهل المدينة التهنئة بالشهر، وقد كان ذلك موضع استغراب منه، فهو خلاف ما لديهم في المغرب من أن التهنئة تكون بالأعياد وما شاكلها،قال العياشي عن ذلك [1]: "ولديهم لابد من التهنئة في أول يوم من كل شهر، فيذهب كل واحد إلى من له عليه حق: بولاية أو شيخوخة أو صحبة حتى يهنئه بالشهر في منزله".

عادات الأغوات[2]:

سبق الكلام عن النفوذ الكبير لشيخ الحرم الذي عرفه العياشي بأنه" كبير العبيد الأغوات الموقوفين على خدمة المسجد النبوي والحجرة الشريفة" وقال عنهم العياشي: "وهم عدد كثير قريب من الثمانين، يزيدون وينقصون بحسب كثرة الراغبين في الوقف" وذكر أن الأربعين الكبار يأتي رزقهم من بيت المال، وما زاد عن ذلك فمن الأوقاف التي لهم بالمدينة أو ما يأتي من الهدايا والصدقات من أقطار الأرض،و يسمى ما سوى الأربعين الكبار (البطّالين) لأنهم

---

[1] ماء الموائد ٢٨٩/١، والمدينة في رحلة العياشي/٢٠٥ (نص الرحلة).

[2] انظر في ذلك ماء الموائد ١/ ٢٠٥ – ٢٠٩، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج ٣و ٤ ص ٢٥٧ - ٢٦١ (نص الرحلة) والمدينة في رحلة العياشي ٢٣٠ - ٢٣٥.

www.alraddadi.me

يُستعملون في الأشغال خارج الحجرة الشريفة والمسجد النبوي ولا يجلسون مع الأكابر في دَكّة الأغوات[1]، أما حياتهم "فلهم ضبط وسياسة كسياسة الملوك، فلكل واحد منهم رتبة معلومة، وشغل معلوم، فإذا مر بالأصاغر أحد الأكابر قاموا كلهم، وكذا الأكابر فيما بينهم" و تلك الرتب هي شيخ الحرم، فالنقيب فالمستلم " والترتيب في ذلك بالتقدم، فمن تقدم مجيئه يُقدم على من تأخر مجيئه، وليس فيهم شافعي ولا حنبلي، بل كلهم حنفية أو مالكية على مذهب ساداتهم الذين أوقفوهم، وذلك لأن الشافعية والحنابلة لا يرون صحة وقف الحيوان[2] " .

كان للأغوات مجتمعهم الخاص بهم في عاداته و تقاليده الخاصة به، ووصفهم العياشي بأنهم كلهم أهل خير وصدق في العبادة وأسهب في وصفهم ووصف عملهم في المسجد النبوي، ووصفهم حيناً بقوله" وسادتنا الأغوات" ووصف كبيرهم بأنه أحد عظماء ولاة المدينة، ولم ينتقد نفوذه العظيم إلا بشكل عام كما سبق، وعن عادتهم في المسجد النبوي بعد العشاء قال:" ومن عادة الأغوات كل ليلة إذا فرغ الناس من صلاة العشاء ورواتبها قاموا بأيديهم الفوانيس الكبار ـ وهي الفنارات عندنا ـ مشعلة، ليُخرجوا

---

[1] مكان مرتفع قليلاً شمال الحجرة الشريفة يجلسون فيه.

[2] يقصد العياشي بالحيوان عموم الحيوان من إنسان وغيره، فالإنسان حيوان ناطق ولا يريد الحيوان الأعجم وحده.

www.alraddadi.me

الناس من المسجد" وكلما انتهوا من صف انتقلوا للذي يليه حتى إذا لم يبق أحد أغلقوا الأبواب و أطفؤوا المصابيح، ثم هدأت أصواتهم فلا تكاد تسمع من أحد منهم كلمة ، وذكر أنهم يبالغون في خفض أصواتهم في الليل حتى بالسعال و العطاس، فإذا جاء الثلث الأخير من الليل فتحوا لرئيس المؤذنين ثم يضيئون المصابيح فإذا قرب الصباح فتحوا أبواب الحرم.

أما مجتمع الأغوات خارج المسجد النبوي فقال عنه:" لهم ديار وخدم وأتباع، وخيل وضياع، وسعة دنيا، ولا يشغلهم ذلك عما هم بصدده من خدمة المسجد، بل لبعضهم أزواج وسراري، اتخذوها للتلذذ بما دون الجماع، و أحكامهم فيما بينهم منضبطة غاية الانضباط، ولا يحكم فيهم سلطان ولا غيره، ولا يولى عليهم ولا يُعزل منهم إلا بأمر شيخهم، ولا يرث معهم بيت المال إذا مات أحدهم، إنما يتوارثون بينهم، ومن وجبت عليه عقوبة منهم أو أدب أدبوه، من غير أن تكون لأحد عليهم ولاية...".

عادات دينية لأهل المدينة:

عرض العياشي لبعض ما هو متعارف عليه في المدينة في بعض الأمور الدينية ومن ذلك أنهم تعارفوا على إقامة الصلاة أول وقتها فقال[1]:" ومن عادتهم في إقامة الصلوات الخمس بالحرم الشريف

---

[1] ماء الموائد ٢٨٩/١، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج٣و٤ ص/٢٤٢، والمدينة المنورة في رحلة العياشي/٢٠٥ (نص الرحلة).

www.alraddadi.me

الصلاة في أول الوقت ما عدا الصبح للحنفي فيؤخره إلى قرب الإسفار، ويصلون الظهر أول ما تزول الشمس، وما يَقيل غالب الناس إلا بعد الصلاة، فينهبون بعد الصلاة إلى منازلهم لنوم القائلة، وكان ذلك يشق علينا قبل اعتياده، فتكاد صلاة الظهر تفوتنا في المسجد؛ لأنّا لا نتأهب للصلاة إلا بعد الأذان وليس بين الأذان والصلاة إلا قدر التأهب، فمن لم يتأهب للصلاة قبل دخول الوقت فاتته الصلاة في الجماعة غالباً، وذلك خلاف السنة في تأخير صلاة الظهر للجماعة إلى ربع القامة[1] ".

ومن عادة أهل المدينة في الأذان أن يبدأ رئيس المؤذنين في المئذنة الرئيسة (الله أكبر، الله أكبر) فيقوله بعده الآخرون في المآذن الأخرى دفعة واحدة، وهلم جَرًّا إلى آخر الأذان[2].

"وأول من يصلي من الأئمة الشافعي ثم الحنفي إلا في صلاة المغرب فيتقدم الحنفي لضيق وقته عنده كالمالكي، ولا يؤم بالمدينة من الأئمة سواهما من أرباب المذاهب إلا في الجمعة فيصلي صاحب النوبة على أي مذاهب كان[3]"

---

[1] القامة: أي إلى ما بعد زوال الشمس حين يبلغ ظل الإنسان ربع قامته أي طوله.

[2] ماء الموائد ١/٢٨٧، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج ٣و ٤ / ٢٤١، والمدينة المنورة رحلة العياشي/٢٠١ (نص الرحلة).

[3] ماء الموائد١/٢٩٠، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج ٣و٤/٢٤٣، والمدينة في رحلة العياشي/٢٠٥.

www.alraddadi.me

وأشار العياشي "أن الأمامين يتناوبان الصلاة في المحراب النبوي، فإن صلى أحدهما فيه صلى الآخر في المحراب الآخر الذي على يمين المنبر الشريف، وأما المحراب العثماني الذي في الصف الأول فلا يُصلى فيه إلا في بعض أيام الموسم إن كثر الناس[1]".

وأتى العياشي على خطبة الجمعة فقال[2]: "وأما الخطبة فهي كالإمامة موزعة بين فقهاء المدينة لكل واحد منهم مقدار معلوم من الأيام، على قدر حصته التي يأخذها من جامكية الخطباء؛ فمنهم مقل ومكثر، وذلك إما بالوراثة من أسلافهم أو بالشراء من الولاة، وهو الغالب، فمنهم من تدور نوبته في كل شهر مرة، ومنهم من لا تصل إليه النوبة إلا مرة في السنة، ومنهم بين ذلك، على حسب أنصبائهم في المال المأخوذ على ذلك".

المعاملات التجارية:

سبق أن أشرنا في وصف المجتمع الثقافي إلى أن العياشي وصف أهل المدينة بأنهم أيام الموسم (الحج) يتفرغون لأمور معاشهم فإذا انقضت أيام الموسم عادوا إلى معتاد حالهم في الأمور الدينية من القراءة والتدريس و أنواع العبادات، وما يهمنا هنا أنه ذكر أن أهل المدينة يرجعون لأمورهم الدنيوية "من الفلاحة والتسعير في الأسواق

---

[1] المصادر نفسها في المواضع نفسها.

[2] المصادر نفسها الأول ٢٨٧/١ والثاني/٢٤٢، والثالث/٢٠٢. الجامكية: الراتب المالي المخصص له.

www.alraddadi.me

وتصحيح المكاييل و الموازين، وأما أيام المواسم فلا سعر معلوماً، ولا مكيال وافياً، ولا ميزان صحيحاً، كل يفعل ما يشاء، ولا يتكلم الولاة في شيء من ذلك إلا أن يقع أمر مهم[1] "

ومن العادات في البيع والشراء أن القادمين من القبائل إذا جلبوا للمدينة اللبن والجبن والسمن والغنم لا يشتري منهم إلاّ من ماثلهم من الساكنين بالمدينة وأطرافها فيدخل هؤلاء القادمون الأسواق بالبضاعة ويبيعون على أهل المدينة، وقد وصف العياشي هذا بأنه من تلقي السِّلع المنهي عنه ثم قال: " ولكنهم قد ألفوا ذلك واستمرت عليه عادتهم وألف ذلك القادمون أيضاً، ولو أن أحداً من أهل المدينة أراد أن يشتري منهم لم يبيعوه إلا بأضعاف" وأشار إلى أن ذلك موجود في المغرب أيضا[2].

---

[1] ماء الموائد ٢٨٥/١ ومجلة العرب السنة ١٢ ج ٣و٣٣٩/٤، والمدينة في رحلة العياشي/١٩٧ (نص الرحلة) معلوماً، وافياً، صحيحاً: هكذا بالنصب في كل النسخ، وانظر ص/

[2] ماء الموائد ٣٠٠/١، والمدينة في رحلة العياشي/٢٢٣.

www.alraddadi.me

أركاب الحج:

يُعنى بأركاب الحج قوافل حجاج الأقاليم فيقال ركب الحج الشامي أو المصري أو غيره، وقد ذكر محمد كبريت أزمنة هذه الأركاب كالتالي:

١- **الركب الشامي** ويقدم للمدينة قبل الحج في السابع والعشرين من شهر ذي العقدة، وقال عنه كبريت: " لا يبقى في المدينة كبير ولا صغير ولا جليل و لا حقير حتى تشمله بركته، وتعود عليه بخير حركته" ويعود إليها من مكة بعد الحج في شهر المحرم ويقيم بها عشرة أيام[١].

٢- **الركب المصري** ويصل إلى المدينة بعد الحج في الخامس من المحرم، وذكر أنه موسم لطيف ووصف ما يكون فيه من تسلم الصدقات و المرتبات[٢].

٣- **الركب العراقي** ويصل إلى المدينة في شهر المحرم ووصفه بأنه من المواسم المشهورة ويكون له سوق[٣].

٤- **ركب اليمن**، ويصل في اليوم العاشر من صفر ويسمى المرزوقي "وهو عبارة عن تجار اليمن وهو موسم البهار والطيب"[٤].

---

[١] الجواهر الثمينة (تحقيق عائض الردادي) ٥٧٦/٢ و ٥٤٨ و٣٦٧/١ و ٣٧٧

[٢] المصدر نفسه ٥٤٢/٢- ٥٤٤، ٣٦٧/١.

[٣] المصدر نفسه ٥٤٩/٢.

[٤] المصدر نفسه ٥٥٧/٢

www.alraddadi.me

٥- ركب الزوار وهو قافلة من الزوار من أهل مكة المكرمة، ويقدم للمدينة يوم الخامس والعشرين من رجب ويغادر في أول يوم شعبان، ويكون فيه موسم لطيف[١].

٦- قافلة المدينة إلى الحج ويخرجون من المدينة في أول يوم من ذي الحجة ويعودون إليها من مكة في اليوم الأول من المحرم.[٢]

وقد أطال كبريت في وصف الركب الشامي وفعل مثله العياشي فيما سبق نصه في الكلام عن عادات نساء المدينة، وأنه لا ينتفع أهل المدينة من ركب مثل انتفاعهم من هذا الركب، أما الركب الآخر الذي أطال العياشي في وصفه فهو الركب العراقي[٣]، ومن خلال وصفه - يتضح - أنه يقصد ركب عراق العجم "أصفهان وما ولاها من عراق العجم مما وراء النهر" وعراق العرب" الذي هو من ممالك صاحب الروم" وهم يقدمون في ركب واحد وذكر العياشي أنهم ينزلون شامي سلّع إلى قريب مساجد الفتح" وكنا نخرج في بعض الأيام إلى مخيمهم قصد التفرج" وذكر أن إقامتهم في المدينة قريباً من شهر" ولم يكن فيهم نفع لأهل المدينة من بيع ولا شراء و لا صدقة".

---

[١] المصدر نفسه ٢/٥٦٤- ٥٦٧.

[٢] المصدر نفسه ٢/٥٧٨ و ٥٤٢.

[٣] ماء الموائد١/٢٧٩- ٢٨٢، والمدينة المنورة في رحلة العياشي/١٨٧- ١٩١، ويقصد بالروم: الترك أي السلطان العثماني

www.alraddadi.me

وقد أشار العياشي إلى الزيارة الرجبية و أنه في الأول من رجب يقدم الناس إلى المدينة من مكة المكرمة وجدة و الطائف ونجد و من حوالي المدينة واليمن وتكون بالمدينة سوق عظيمة مشيراً إلى القيام بزيارات للمزارات[1].

أما أجور الرواحل في هذه الأركاب فقال عنها: " من عادتهم في أكرية الرواحل من القوافل الذاهبة إلى مكة و ينبع أن بالمدينة رجالاً يعرفهم غالباً الجمّالون،فمن احتاج الكراء من أرباب الدواب أو أرباب السلع أتى إليهم فيعقدون له الكراء مع صاحبه... ويسمى أحد هؤلاء المُخرِّج، فلا يعقد أحد كراء إلا بحضرة أحدهم، وجلوسهم في الغالب بباب المصري، ويأخذون بذلك حلاوة من الجمّال أو المُكْرِي[2] ".

خلاصة للنتائج:

نستطيع أن نوجز النتائج من العرض السابق لمشاهدات العياشي ومروياته عن مجتمع المدينة المنورة في التالي:

أ- المجتمع الثقافي:

١- تعطيل أهل المدينة للدراسة في المسجد النبوي الشريف والمكاتب والمدارس يومي الثلاثاء والخميس من كل أسبوع.

---

[1] ماء الموائد ١/٢٥٣- ٢٥٥ ، ومجلة العرب، السنة ١٢ ج ٣و ٤ ص ٢٥٠- ٢٥٥.

[2] ماء الموائد ١/٣٠١ ، ومجلة العرب السنة ١٢ ج ٣و ٤/٢٧٥ ، المدينة في رحلة العياشي/٢٢٣.
باب المصري: أحد أبواب السور الداخلي للمدينة أزيل قريباً. حلاوة: يقصد بذلك الزيادة على الأجر المستحق، وقد يسمى بخشيشاً.

www.alraddadi.me

٢ـ انقطاع عادة التدريس والإقراء أيام الموسم في المدينة المنورة (موسم الحج والزيارات).

٣ـ الإجازة للطلاب (إعطاء شهادة) تتم في المسجد النبوي وفي بيوت العلماء.

٤ـ في يوم السابع عشر من ذي القعدة تُدخل المصاحف في المخازن، ويرد كل من استعار كتاباً من خزانة الكتب إلى ناظر الخزانة التي أخذه منها.

٥ـ بعد موسم الحج والزيارة تعاد المصاحف إلى المسجد النبوي، وتفتح خزائن الكتب العلمية، ويعود الناس للاستعارة، ويشرع الأئمة في القراءة والتدريس.

٦ـ كانت مكتبات المدينة العامة والخاصة بالعلماء زاخرة بنفائس الكتب ومنها النوادر، وكان أصحابها يبذلونها للاطلاع العام.

ب ـ مراكز النفوذ:

تتحدد مراكز النفوذ التي وصفها العياشي في المدينة في: النفوذ السياسي، ونفوذ القاضي، ويمكن إيجاز ذلك في التالي:

١ـ تداخل الصلاحيات وعدم وجود حاكم واحد يصرف الأمور كلها على طول إقامة العياشي في المدينة فالحكام خمسة هم:

شيخ الحرم (كبير خدم المسجد النبوي) وكبير عسكر القلعة، والنائب عن أمير مكة المكرمة، وأمير المدينة الحسيني، والحاكم الذي هو من خدّام السلطان العثماني (المحافظ).

www.alraddadi.me

٢ـ الدعاء في خطبة الجمعة للسلطان العثماني الذي يبالغ الخطيب في وصفه، ثُم لأمير مكة ثُم لأمير المدينة.

٣ـ شيخ الحرم هو صاحب الكلمة النافذة، تنفذ أحكامه، وتمضي تصرفاته في القوي والضعيف والشريف والمشروف ويطأ عقبُه الكبراء والأشراف، فهو أكثر الحكام تسلطاً على الناس، ووصلت مظالمه إلى رفع شكاوى إلى السلطان.

٤ـ سلطات الحكام متفاوتة: فشيخ الحرم ذو نفوذ كبير، والحاكم الذي هو من خدَّام السلطان (المحافظ) يسجن ويضرب ويقتل و يؤدب ونائب أمير مكة ينظر في مصالح الناس، وأمير المدينة الحسيني ليس له من إمرتها إلا الاسم أو ما يقرب منه لأنه من تحت إمرة نائب أمير مكة، أما كبير عسكر القلعة فهو أمير وبجنده يسيطر شيخ الحرم على الناس.

٥ـ لا يخضع قاضي المدينة لأي من أصحاب النفوذ السابقين، ويعين بقرار من السلطان العثماني، وهذه الاستقلالية للقاضي أدت إلى اغتيال القاضي على باب المسجد النبوي فجراً؛ لإظهاره العدل وضربه على أيدي كثير من ولاة المدينة ومنعهم من الباطل والظلم الذي هم به متصفون، كما قال العياشي، وضاع دمه وعفي عن قاتليه ومن دبَّر الاغتيال.

٦ـ صورة استقلال القضاء وعدالة القاضي واغتياله دعت العياشي للتساؤل " من يستطيع إظهار الحق والقول به بعد هذه الحادثة".

www.alraddadi.me

٧ـ صرح العياشي أن المناصب الشرعية في بلاد المشرق ومنها الحجاز تنال بالشراء من الولاة خصوصاً في القضاء، وأن من القضاة من ينقض حكمه في اليوم الواحد مراراً بحسب كثرة الرشا وقلتها، وسمى بعض القضاة في المدينة، وأن غالب الناس في المدينة على خلاف ما رواه صاحب له عن عدالة أحد القضاة.

ج ـ عادات السكان الاجتماعية:

قدّم العياشي وصفاً للصورة العامة الظاهرة لحياة المجتمع المدني، أبرزها:

١ـ أن الصبغة العامة لمجتمع المدينة صبغة أعجمية، وفضل عليه مجتمع مكة لصبغته العربية الأصيلة، ووافقه على ذلك شيخه أبو مهدي الثعالبي، وعلل العياشي ذلك بكثرة الأعاجم المقيمين في المدينة.

٢ـ الأغنياء من أهل المدينة أهل رفاهية وتوسع في المعيشة، وتغالٍ في الملابس الفاخرة و تزيوا بزي الأعاجم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم.

٣ـ علل العياشي حياة الرفاه للأغنياء في المدينة بأن الأعاجم المقيمين بها يشترون الجامكية (الرواتب والحصص) ويرتزقون بما يأتيهم من بلادهم مما جعلهم يبقون على الحال التي كانوا عليها في بلادهم من التوسعة فاقتدى بهم غالب أهل المدينة من أقويائها.

www.alraddadi.me

٤ـ استدرك العياشي بأن ما ذكره من السعة في العيش والتغالي في الملبس والمأكل والتزيي بزي الأعاجم إنما عنى به الكبراء أما الفقراء وغالب المجاورين فهم على حالهم من الفقر والمسكنة.

٥ـ أهل المدينة إذا جاء الشتاء تدثروا بالثياب الكثيفة وعندما نصحوه بذلك ولم يسمع كلامهم (بأن البرد في أول الشتاء أضرّ منه في وسطه) كان ذلك سبباً في مرضه المتطاول.

٦ـ لأهل المدينة ولوع وغرام بأكل اللحم بل إن من الأثرياء من خصص أحد ممالكيه لشراء اللحم، وأن من نسائهم من لا تطبخ غداء ولا عشاء إلا أن يكون لحماً، ويدعين أنهن لا يعرفن الطبخ إلا به.

٧ـ أهل المدينة يطبخون الأرز والهريس باللحم، والهريسة عندهم أشهر الأطعمة، وفصّل العياشي فنهم في طبخها.

٨ ـ من عادة نساء المدينة البيع والشراء بأنفسهن حتى إنه لا يبقى مخدرة إذا جاء ركب الشام إلا خرجت للبيع والشراء،(وذكر أوليا جلبي المعاصر للعياشي في رحلته " أن السيدات العربيات يقمن بالبيع والشراء في سوق الجديدة في وادي الصفراء، وهن راضيات مبتسمات، وأغلبهن مليحات").

٩ـ لنساء المدينة إتاوة يؤديها الأزواج لهن ليبتعن ما أحببن من اللائق بهن من طيب وشبهه.

www.alraddadi.me

١٠ـ نساء المدينة يبالغن في الستر الظاهر بحيث لا يبدو من المرأة ولا مفرز إبرة حتى من أطرافها، إلا أنهن يكثرن من الطيب عند الخروج.

١١ـ نساء المدينة يخرجن للتنزه في البساتين فيما يعرف عند أهل المدينة بالقائلة (القيلة) أي نزهة منتصف النهار، وخروج الرجال أكثر منهن.

١٢ـ لنساء المدينة عادة يسمونها الشخشخة، وهي المبلغ المالي الذي يمنحه الزوج لزوجته لتشتري به ما تشتهيه من الأزهار والطيب وربما بلغ ذلك ريالاً في اليوم والواحد.

١٣ـ مواضع التنزه لأهل المدينة (رجالاً ونساء) وادي قناة إذا سال، ومساجد الفتح، ووادي العقيق إذا سال، وحديقة بئر أريس (بئر الخاتم) وهذه النزهات نزهات عائلية في أغلبها.

١٤ـ عقد نكاح الأغنياء يتم في المسجد النبوي بمراسم مبالغ فيها: بالجلوس في صفين في المسجد النبوي، ويخطب نكاح فيها ثناء على المتعاقدين " أكثره زور وباطل بحضره أشرف الخلق وفي روضة الجنة" وبوضع أطباق اللوز والسكر بين الصفين ثم تنشد قصيدة أو اثنتان في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يُهنأ المتعاقدان، أما الآخرون من غير ذوي الوجاهة والرياسة فعلى حسب ما يتفق لهم.

www.alraddadi.me

١٥ـ ليلة الدخول بالزوجة تكون في دار أهل الزوجة، وفي الصباح يذهب الرجل إلى بيته ويتقبل التهاني، ويقيم الوليمة، وفي الليلة المقبلة تنتقل الزوجة إلى دار الزوج، وبهذا يكون الزوج هو الذي يزف لزوجته عكس المعتاد في كثير من البلاد كما قال العياشي.

١٦ـ لأهل المدينة عادة في التهنئة بدخول كل شهر في أول يوم منه لمن له ولاية أو شيخوخة أو صحبة.

١٧ـ للأغوات (خدام المسجد النبوي) عاداتهم الخاصة بهم، فعددهم ثمانون: أربعون كباراً وأربعون يلونهم يسمونهم (البطّالين) وهم لا يجلسون مع الكبار في دكّة الأغوات،ولهم كما قال العياشي " ضبط وسياسة كسياسة الملوك" ولكل واحد منهم رتبة معلومة، وشغل معلوم، ويقوم الأصاغر للأكابر إذا مروا، وهم أحناف و شوافع لأن المذهبين الآخرين لا يريان صحة وقفهم على الخدمة.

١٨ـ إذا فرغ الناس من صلاة العشاء أخرج الأغوات الناس من المسجد النبوي صفا صفا فإذا خلا المسجد أغلقوا الأبواب وفي الثلث الأخير من الليل يفتحون لرئيس المؤذنين ثم يضيئون المصابيح فإذا قرب الفجر فتحوا الأبواب.

١٩ـ للأغوات "ديار وخدم وأتباع، وخيل وضياع، وسعة دنيا ولا يشغلهم ذلك عما هم بصدده من خدمة المسجد" وأحكامهم فيما

www.alraddadi.me

بينهم منضبطة، ولا يحكم فيهم سلطان و لا غيره، ولا يولّى أحد أو يعزل إلا بأمر شيخهم، ويتوارثون بينهم".

٢٠ـ تعارف أهل المدينة على إقامة الصلوات أول وقتها.

٢١ـ تعارف أهل المدينة على أن يبدأ رئيس المؤذنين في المئذنة الرئيسة ثم يردد بعده المؤذنون الآخرون الأذان جملةً جملة.

٢٢ـ أول من يصلى من الأئمة الشافعي ثم الحنفي إلا في صلاة المغرب فيتقدم الثاني، ولا يؤم في المدينة سواهما في الصلوات إلا في الجمعة فهي لصاحب النوبة.

٢٣ـ يتناوب الإمامان الشافعي والحنفي في المحراب النبوي ومن لم يصلِ فيه صلى في المحراب الآخر، أما المحراب العثماني الذي في الصف الأول فلا يُصلى فيه إلا في بعض المواسم إن كثر الناس.

٢٤ـ خطبة الجمعة موزعة بين فقهاء المدينة لكل واحد منهم مقدار معلوم من الأيام حسب حصته من جامكية الخطباء (رواتبهم) فمنهم مكثر، ومنهم مقل، ومنهم من تدور نوبته كل شهر مرة، ومنهم من لا تصل نوبته إلا مرة في السنة، ومنهم بين ذلك.

٢٥ـ أهل المدينة أيام المواسم يتفرغون لأمور معاشهم (بما في ذلك التدريس الذي سبقت الإشارة إليه) فإذا انقضت المواسم عادوا إلى معتاد أمرهم في الأمور الدينية والدنيوية.

www.alraddadi.me

٢٦ـ بعد المواسم يرجع " التسعير في الأسواق وتصحيح المكاييل و الموازين" أما أيام المواسم فتطلق الأسعار، وكل يفعل ما يشاء، ولا يتكلم الولاة في شيء من ذلك إلا أن يقع أمر مهم.

٢٧ـ القادمون للبيع من القبائل يتلقاهم من يماثلهم من الساكنين بالمدينة و أطرافها ويشترون منهم ثم يدخل هؤلاء الساكنون في المدينة ويبيعون على أهل المدينة، وقد أَلِف كل منهم ذلك، واستمرت عادتهم عليه ولو أن أحداً من أهل المدينة أراد أن يشتري من القادمين سوى أولئك لم يبيعوه، وانتقد العياشي ذلك دينياً وعدّه من تلقّي الركبان، وأنه موجود في المغرب.

٢٨ـ ينتفع أهل المدينة من أركاب الحج القادمة من داخل الجزيرة العربية ومن خارجها في البيع والشراء والصدقة حتى تخرج المخدرات من النساء وبعضها لا ينتفعون منه.

٢٩ـ من عادة أهل المدينة في كراء الرواحل أن يذهبوا إلى المُخرِّج المتخصص في التوسط بين المستأجر و المؤجر مقابل أجرة معلومة، وزيادة يسمونها الحلاوة حسب ما يهبه الجمّال أو المُكْرِي.

www.alraddadi.me

المصادر و المراجع:

أ- المصدر الرئيس هو رحلة العياشي (ماء الموائد) في طباعاتها التالية:

- الطبعة الثانية، المصورة بالأوفست، فهرسها محمد حجي، الرباط، ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م.

- مجلة العرب: ما نشره من نصوصها الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب، السنة الثانية عشرة (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ج ١و ٢ من ص ٦٥- ١١٢، وج ٣و ٤ من ص ٢١٠- ٢٨١.

- المدينة المنورة في رحلة العياشي، دراسة وتحقيق، محمد أمحزون، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار الأرقم، الكويت، وقد حقق ما يخص المدينة في رحلة العياشي على نسخة بخط المؤلف من ص ٨٣ وما بعدها.

ب- بقية المصادر والمراجع:

الجاسر=حمد

- تقديمه لكتاب التعليقات النوادر لأبي علي الهجري ط١٤١٣، ١هـ/١٩٩٢م.

- تقديمه لرسالة (كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور)للبرزنجي، مجلة العرب، السنة ٢٠، ج ٧ و ٨، ص/٤٣٣.

www.alraddadi.me

أوليا جلبي

- الرحلة الحجازية(كانت سنة ١٠٨١هـ)، ترجمة الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، لم تذكر سنة الطباعة ولا رقمها.

الخياري= إبراهيم بن عبدالرحمن (ت١٠٨٣هـ)

- تحفة الأدباء وسلوة الغرباء (رحلته) الجزء الثاني، تحقيق رجاء محمود السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ١٩٧٩م.

الطبري= محمد بن علي بن فضل (ت ١١٧٣هـ)

- إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق محسن محمد حسن سليم، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، الكتاب العربي القاهرة.

الردادي= عائض

- الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري، ط٣، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، مطابع سفير، الرياض.

عارف أحمد عبدالغني

- تاريخ أمراء المدينة المنورة، دار الأركان، دمشق، لم يذكر رقم الطبعة، ولا السنة.

العصامي= عبدالملك بن حسين (١١١١هـ)

- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٨٠هـ.

العياشي= أبو سالم، عبدالله بن محمد (ت ١٠٩٠هـ)

www.alraddadi.me

- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، تحقيق نفيسه الذهبي، منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٩٦م.

ابن فرحون= محمد بن عبدالله (ت ٧٩١هـ)

- نصيحة المشاور وتعزية المجاور، تحقيق دعلي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

كبريت= عبدالله بن محمد (ت ١٠٧٠هـ)

- الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق د. عائض الردادي، ط١، مطابع سفير، الرياض.

- نصر من الله وفتح قريب، مخطوط في مكتبة عارف حكمت برقم ١٦٠ (الأدب العربي).

المحبي= محمد أمين بن فضل الله (ت١١١١هـ)

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت.

محمد الأخضر

- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ط١، ١٩٧٧م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.

محمد أمحزون

- المدينة المنورة في رحلة العياشي، دراسة وتحقيق، ط١، ١٤٠٧٨هـ/١٩٨٨م، دار الأرقم الكويت.

www.alraddadi.me

الكشاف العام (للأعلام والألفاظ)*

الآغا ٢٦

آيت عياش ١٥

إبراهيم الخياري ١٠، ١٤ ، ١٩، ٢٨.

أبو ظبي ٨، ٩، ١٧.

الأتراك = الترك

الإجازة (إعطاء شهادة) ١٨، ١٩، ٥٧.

إجازة الثلاثاء والجمعة (عطلة) ١٨.

أحمد بن رحمة بن مضيان الظاهري ٣١.

أحمد بن محمد بن مراد (السلطان) ٢٥.

الأدارسة ١٥.

الأرز ٤١.

الأَرْكاب (للحج) ٢١ (٥٤)، ٦٥.

اسطنبول ١٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٣، ٣٤، ٣٥.

أصفهان ٦٥.

أطباق الرياحين ٤٧.

أطباق اللوز والسكر ٤٧، ٦٠.

الأعاجم ٣٨، ٣٩، ٦٠.

---

* لا يشمل الكلمات المتكررة كثيراً كالمدينة والحجاز والعياشي، وإذا وضع قوسان ( ) فذلك للدلالة على التوسع، وإذا وضعت (هـ) فذلك للدلالة على الهامش.

www.alraddadi.me

الأغوات ٢٥، ٢٦، ٢٧، (٤٩ ـ ٥١)، ٦٣.
الأفندي زفر (قاض) ٣٥، ٦٣.
الأقضية التابعة للمدينة ٣٠.
الأوقاف ٤٩.
أكرية الرواحل ٥٦، ٦٥.
أهل الشام ٤١.
أهل مكة ٣٨.
أوليا جلبي ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٤٢، ٦٠.
أيام الموسم (الحج) ٣٨، ٥٣، ٦٤.
بئر أريس (بئر الخاتم) ٤٦، ٦٢.
باب البقيع ٣٠
باب الحاج ٢٩.
باب الشام (الشامي) ٢٩/هـ، ٣٠.
باب الشريف ٣٠.
باب مصر (المصري) ٢٩، ٥٦.
البادية، البداوة، أهل البادية ٣٨، ٣٩.
بدر الدين الهندي ٢٠.
البربر ١٥.
البطالين (طبقة من الأغوات) ٤٩، ٦٣.
بيت المال ٤٩، ٥١.

www.alraddadi.me

بيوت العلماء ١٩.
تجار الهند ٤٦.
تجار اليمن ٥٥.
الترك، الأتراك ١٤، ٢٤، ٣٤، ٣٥.
التسعيرة في الأسواق ٥٣، ٦٤.
التهنئة بالشهر ٤٨، ٤٩، ٦٢.
الثعالبي، أبو مهدي ١٩، ٣٨، ٤٦، ٦٠.
جامعة عين شمس ١٦.
الجامكية (المرتب) ٣٩، ٥٣، ٦٠، ٦٤.
جبخانة ٣٠.
جبل سلع ٥٦.
جبل سليع ٣٠.
جدة ٣٥، ٥٦.
الجديدة (قرية) ٤٢، ٦١.
الجزيرة العربية ٦٥.
الجعفريون ٣٢.
الجمّالون ٥٦، ٦٥.
حاكم المدينة (المحافظ) ٣٣.
الحجرة الشريفة ٢٦، ٤٦، ٤٩.
حرب (القبيلة) ٣١، ٣٢.

www.alraddadi.me

الحرّة ٤٥.
بنو حسن ٣٣.
الحسين بن جماز ٢٤، ٣٢.
الحسينيون ٢٣(٣٢)، ٣٣، ٥٨.
حلاوة (زيادة على الأجرة) ٥٧، ٦٥.
حمد الجاسر ٨، ١١، ٥٦، ٢٦.
حنبلي، الحنابلة ٤٩.
الحنفية، الحنفي ٤٩، ٥٢، ٦٣، ٦٤.
خادم الحرمين الشريفين ٢٤.
خدام السلطان (الموظفون) ٣٣، ٥٨.
خزينة الكتب (المسجد النبوي) ٢٠ـ٢٢.
الخِصْيان ٢٥ـ ٢٨.
الخفاف السوداء (أحذية) ٤٢.
خيبر ٣١.
دكة الأغوات ٤٩، ٦٣.
الدولة التركية = العثمانيون.
الذهبي ١٣.
الذين يدعى لهم (في الخطبة) ٢٤.
رئيس المؤذنين ٥٠، ٥١، ٦٣.
الرباع (الصناديق) ٢١.

www.alraddadi.me

ركب الزوار (ركب مكة) (٥٥).
ركب الشام ٤١، ٤٣، (٥٤)، ٥٥، ٦١.
الركب العراقي (٥٥)، ٥٦.
ركب المدينة = قافلة المدينة.
الركب المصري (٥٥).
ركب اليمن (٥٥).
الروضة ٢٠.
الروم ٥٦.
زفر = الأفتدي .
الزيارة الرجبية ٥٦.
زيد بن محسن بن حسين ٢٣، ٢٤، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٧.
زين العابدين البرزنجي ٢٦/هـ
سادة العادات ٤٨.
السُّبحات ٢٠.
سعيد الفاضلي (د.) ٨.
السلطان (من له نفوذ) (٣١)، ٣٥.
السلطان العثماني، السلطان الأعظم ٢٤، ٣١، ٣٣، ٥٦، ٥٩.
سلطان العرب = أحمد بن رحمة بن مضيان.
السور الخارجي ٢٩.
السيدات العربيات ٤٣.

www.alraddadi.me

سليمان القانوني ٢٩، ٣٠.
سليمان القرشي (د.) ٨.
الشام ١٤.
شافعي، الشافعية ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٦٣، ٦٤.
الشخشخة ٤٣، ٦٢.
الشَّعْبَنة ٤٤، ٤٥.
شَمْلة (لباس) ٣٥.
شهاب الدين أحمد التاج ٢١.
شيخ الإسلام (أعلى رتبة فتوى) ٣٣.
شيخ الحرم ٢٣(٢٥)، ٢٦ـ٣٠، ٣٤، ٤٩، ٥٨، ٥٩.
شيخ العرب = أحمد بن رحمة.
شيخ قبيلة حرب = أحمد بن رحمة.
صاحب النوبة (في الصلاة) ٥٢.
الصدر الأعظم ٢٧، ٣٣.
صلاح الدين الأيوبي ٢٤.
الطائف ٥٦.
طاهر بن مسلم الحسيني ٣٢.
طبقات الأغوات ٤٩.
الطواشية (الأغوات) ٢٥.
عبد الرحمن مؤذن ٨.

www.alraddadi.me

عبد الكريم كريّم (د.) ١١.
عبيد السلطان ٢٥، ٢٧.
عثمان بن أحمد بن محمد بن مراد (السلطان) ٢٥، ٢٦.
العثمانيون ١٢، ٢٢، ٢٦، ٣٤.
عراق العجم ٥٦.
عراق العرب ٥٦.
العرب٣٩.
العسكر العثماني، عسكر الترك ٣٦، ٣٨.
العصامي ٣١.
عنابر (مخازن) ٣٠.
العوالي ٤١.
العين الزرقاء ٣٠.
غرس الدين الخليلي ٢٧، ٢٨.
الفرق العسكرية العثمانية ٢٩.
فقهاء المدينة ٥٣.
الفنار (الفوانيس) ٥٠.
الفوانيس الكبيرة ٥٠.
القائلة (القَيْلة) ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٥١، ٦١.
القادمَون للمدينة من القبائل ٥٤، ٦٤.
قاضي عسكر ٣٤.

www.alraddadi.me

قاضي القضاة ٣٤.
قاضي المدينة (٣٣) ٣٤، ٣٧.
قافلة المدينة (٥٥) .
قباء ٤١، ٤٦.
قزلار أقاسي ٢٥، ٢٦.
القسطنطينية = اسطنبول.
قضاة المذاهب السنية ٣٤.
القلعة، قلعة العسكر، قلعة جبل سليع ٢٩، ٣٠، ٣٣.
كبير الخدم = شيخ الحرم .
كبير خطباء المدينة ٤٦.
كبير العسكريين ٢٣، (٢٩) ، ٥٨، ٥٩.
كبير العبيد ٢٦، ٤٩.
كتاب الجفر الكبير ٢١.
ليلة الدخول بالزوجة ٤٧، ٤٨، ٦٢.
ما وراء النهر ٥٦.
المجاورة ١٢ ـ ١٤.
المجاورون ١٩، ٢٠، ٢٢، ٤٠، ٦٠.
مالك (الإمام) ٣٩.
المالكية، المالكي ٤٩، ٥٢.
المحبي ١٣.

www.alraddadi.me

المحب الطبري ٣٦.
محمد صلى الله عليه وسلم ٢٧، ٤٦ـ٤٨، ٦٢.
محمد بن إسماعيل الكوراني ٢٢.
محمد أمحزون ٨، ١٦.
محمد حجي ١٦.
محمد كبريت ١٠، ١٢ـ ١٤، ٤٤، ٤٥، ٥٤، ٥٥.
المحراب النبوي ٥٢، ٦٤.
المحراب العثماني ٥٢، ٦٤.
المخرُج ٥٦، ٦٥.
المذهب الحنفي ٣٤.
المذهب المالكي ٣٨.
مراتب القضاة في العهد العثماني ٣٤/هـ
المرزوقي (ركب اليمن) ٥٥.
مساجد الفتح ٤٥، ٥٦، ٦٢.
المستشرقون ١٦.
المسجد النبوي الشريف ١٨ـ ٢١، ٢٤ـ ٢٧، ٣٥، ٤٦، ٤٨ـ ٥١، ٥٧، ٥٩، ٦٢.
مسجد قباء ٤٦.
المُستَلم (من الأغوات) ٢٧، ٤٩.
مشيخة الحرم ٢٥/هـ

www.alraddadi.me

مصر ٢٦.
مصطفى بن محمد بن مراد (السلطان) ٢٥، ٢٦.
ابن معصوم ١٠، ١٣.
المغاربة ٤٠.
المغرب ١٥، ١٨، ٤٢، ٤٤، ٤٨، ٦٤.
مكة المكرمة ٢٢، ٣٥، ٣٧-٣٩، ٤٦، ٥٤-٥٦، ٦٠.
ملك البرين والبحرين والشامين والعراقين ٢٤/هـ
ملك الترك= السلطان العثماني.
المناصب الشرعية ٣٧، ٥٩.
المنبر النبوي ٤٦، ٥٢.
مهتَر (فرقة موسيقا) ٣١.
مولى كبير (قاض) ٣٤.
مولوية (قضاء) ٣٤/هـ
نائب أمير مكة ٢٣، ٣١، ٣٢، ٥٨، ٥٩.
ناظر الخزانة ٢٠.
نجاح صلاح القابسي ١٦.
نجد ٥٦.
النقيب (من الأغوات) ٢٧، ٤٩.
النَّوبة (في صلاة الجمعة) ٥٢، ٥٣، ٦٣، ٦٤.
النوبتجية ٢٩.

www.alraddadi.me

الهريسة (طعام) ٤١.
همج الحجاج ٢١.
الهند ٢٠/هـ
وادي الصفراء ٤٢، ٦٠.
وادي العقيق ٤٥، ٦٢.
وادي قناة ٤٥، ٦٢.
الواردون للمدينة ٢١، ٤٥.
ينبع ٣١، ٥٦.
يوم الكنيس ٢٠.
اليمن ٥٦.

موقع الدكتور عايض الردادي
www.alraddadi.me

www.alraddadi.me

فهرس المحتويات:

المحتوى	الصفحة
مقدمة	٥
ازدهار الرحلات في القرن الحادي عشر الهجري	١٠
الرحلات المغربية إلى الحجاز	١١
مجتمع الحجاز في القرن الحادي عشر الهجري	١٢
العياشي	١٥
أهمية رحلته	١٥
المدينة في رحلة العياشي	١٧
وصف المجتمع الثقافي	١٨
وصف مراكز النفوذ في المدينة	٢٣
١ـ شيخ الحرم	٢٥
٢ـ كبير العسكر الساكنين بالقلعة	٢٩
٣ـ ابن عم السلطان زيد	٣١
٤ـ الأمير الحسيني	٣٢
٥ـ الحاكم	٣٣
نفوذ القاضي	٣٣
وصف عادات السكان الاجتماعية	٣٧
صورة الحياة العامة	٣٧
الملبس والمأكل	٣٩

www.alraddadi.me

المحتوى	الصفحة
عادات نساء المدينة	٤١
نزهات أهل المدينة	٤٣
عادات الزواج	٤٥
التهاني	٤٨
عادات الأغوات	٤٨
عادات دينية لأهل المدينة	٥٠
المعاملات التجارية	٥٢
أركاب الحج	٥٤
خلاصة للنتائج	٥٦
المصادر والمراجع	٦٥
الكشاف العام للأعلام والألفاظ	٦٨
المحتوى	٧٩

www.alraddadi.me

هـذا الكتـاب

تناول العياشي في رحلته نواحي كثيرة مما يتعلق بالمدينة المنورة، غير أن هذه الدراسة اقتصرت على وصف العياشي لمجتمع المدينة الذي كاد أن يتفرد به حين كتب وصفاً مبنياً على مشاهداته، وملحوظاته، واختلاطه بالمجتمع، والرواية عمن لقيهم أو من سَبَر حال المدينة كما قال العياشي، وهذا الذي فعله العياشي لا يوجد بعضه ـ على الأقل ـ إلا عنده، وهو ما أعطى رحلته قيمة علمية؛ لاتصاله المباشر بالمجتمع فهو قد حضر بعض المناسبات وخالط الناس و دَرَّس و زار المزارات وكتب عن أحوال الناس كتابة مشاهدٍ ومخالط لهم

مع الإشارة إلى أن بعض ما دونهلا يخلو من انطباعاته وبخاصة ما لم يوافق ما اعتاد عليه من عادات في المغرب وكثيراً ما نوه عن ذلك، وقد اعتمدت الدراسة على نصوص العياشي في رحلته مع الاستعانة بمصادر تاريخية معاصرة له أو مراجع متأخرة في التعريفات لبعض الأمور.

ردمك : ٦ - ٤٧٤٠- ٠٠-٦٠٣- ٩٧٨

مطبعة سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ ـ ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض